قراءة في ظاهرة الردّة

محسن الأسدي

عقبات كثيرة تلك التي تواجه أيّ باحث في التاريخ، ومنها:

وجود أيادٍ إمّا لإخفاء الكثير من حوادث التاريخ، وكأنه شغلها الشاغل، وإمّا تشويهها، أو تقطيعها إلى درجة تكون عسيرةَ الفهم لصعوبة الربط بينها، وإمّا بخلق أكداس من الأخبار حولها والأقوال، وباصطناع روايات حفظاً لقدسية هنا أو إرضاءً لطرف ذي نفوذ وسلطة ومال هناك... وبالتالي تكون عملية البحث والتنقيب والتحقيق فيما ينقل إلينا من حوادث تلك القرون، وتمييز ما فيها من غثٍّ وسمين، وملفق وصحيح، أمراً غير ميسور.. وكل هذا يجعل الآراء إزاء الوقائع والأحداث غير

دقيقة، والأقوال فيها متباينة، بل وغير مبنية على أسس واضحة وأدلة متينة، وتجد التحليلاتُ القائمة على الأهواء والميول مجالَها، و الآراءُ المنبعثة من المواقف السياسية والأيدلوجية فرصتَها...

وبالتالي تأتي نتائج أي حدث مضطربة؛ لأنه يؤدي إلى تغييب الحقائق التاريخية، وتشويه الديني منهابعقائده وشرائعه ومفاهيمه وأخلاقه، فضلاً عما تتركه هذه الأقوال الظالمة ـ لأنها قائمة على مجافاة الحقيقة ـ من آثار سلبية على الساحة، ومن ظلامة للأبرياء أحياءً وأمواتاً، ولا تخلو من مشاركة في دمائهم التي سفكت، وأعراضهم التي انتهكت، وأموالهم التي سلبت، فهي نتائج خطيرة تُضيّع فيها الحقوق، فيُظلم الإنسان فرداً كان أو جماعةً أو طائفةً، ويُمدح ظالمٌ ويُذم مظلومٌ..

والأمثلة على هذا عديدة وكثيرة، فقد قتل العشرات بل المئات من العلماء والمفكّرين والمصلحين وأصحاب الآراء، تحت غطاء مفهوم ديني، وحكم شرعيٍّ، حين تكون الاستفادة من ذاك ومن هذا سيئة أو ناقصة، أو حين يكون استغلالهما وتوظيفهما لمصالح سلطة ما، وهو ديدن الظالمين والمستبدين، الذين لا يرون حقّاً للآخر في رأي أو موقف إزاء موقفهم وآرائهم، إن هو إلا منهج فرعون: ﴿... **قَالَ فِرْعَونُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى...**﴾![1]

---

١. سورة غافر : ٢٩.

وهنا نورد مثالاً، وهو: (الردّة)

إنَّ الردة والارتداد ليست ظاهرة نادرة الوقوع، أو اختصت بها الساحة المسلمة دون غيرها، كيف وهي لم تكن غريبة عن الديانات في مسيرتها وتاريخها،وفي علاقات تلك المجتمعات بأنبيائها وبرسالاتهم، فلقد كان تاريخ الأنبياء مع أقوامهم مبتلًى بمثل هذه الحالة أو مقدماتها، ونكتفي بما وقع لبني إسرائيل قوم موسى عليه السلام، وهو تاريخ حافل بالأحداث، فما أن رأوا قوماً ﴿يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُم ...﴾.[٢] أي يقبلون عليها ملازمين لها مقيمين عندها يعبدونها، حتى ﴿قَالُواْ يَا مُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾.[٣] أي أنصب لنا شيئاً نعبده كما لهم أوثان يعبدونها؛ وهذا كفر ربما قاله الجهال من قومه دون المؤمنين الأخيار، وإنما قالوا ذلك لأن الإنسان يحنّ إلى ما يراه لغيره، فيحب أن يكون له مثل ما لغيره، وفي هذا دلالة على عظيم جهلهم بعدما رأوا الآيات المترادفة والمعجزات من حيث توهموا أنه يجوز عبادة غير الله تعالى، ولم يعرفوا أنّ المجهول لا يكون إلهاً، وأنّ الأصنام لا تكون آلهة، ويمكن أن يكونوا قد ظنوا أنه يجوز أن يتقرب إلى الله تعالى بعبادة غيره... وقع هذا بعد أن نجاهم الله تعالى من البحر.. ثمَّ حادثة تمرّدهم بل وارتدادهم التي وقعت

---

٢. سورة الأعراف : ١٣٨.

٣. سورة الأعراف : ١٣٨.

بعد إيمانهم بدعوته، وقد تمثلت باتخاذهم العجل إلهاً معبوداً حين أضلّهم السامري، بعد ذهاب نبيّهم موسى عليه السلام إلى الطور، لميقات ربّه، وعصيانهم خليفته هارون عليه‌السلام.

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾.[٤] وكذا في الآيات في سورة البقرة :٩٢ــ٩٣.وفي سورة طه: ٨٥ ـ ٩٧.

إذن فما إن غاب عنهم نبيُّهم حتى أضلّهم السامري، فارتد أكثرهم عن دينهم، وقد روي أنّ الذين ثبتوا على دين موسى وأطاعوا أخاه ووصيه هارون كانوا اثني عشر ألفاً من مجموع ستمائة وسبعين ألفاً، قليل من كثير.

وقد حدث نظير فعل قوم موسى عليه السلام كما روي في هذه الأمة، حين جاء قول جُهّال الأعْراب، وقد رأوا شجرة خضراء للكفار تُسَمَّى ذاتَ أنْوَاط يعظّمونها في كل سنة يوماً: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذاتُ أنْوَاط. فقال عليه الصلاة والسلام: «الله أكبر. قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى: ﴿قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ لتركَبُنّ سنَن مَن قبلكم حَذْوَ القُذّة بالقُذّة حتى إنهم لو دخلوا جُحْر ضَبٍّ لدخلتموه». وكان هذا في مَخْرَجه

---

٤. سورة البقرة : ٥١.

إلى حُنَين.[٥]

وهكذا في العصر الأول للإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فمع أن الكثيرين ثبتوا على إسلامهم، وغدوا يدافعون عنه بما أوتوا من جهد وقوة وحكمة، انقلبت نفوس، واضطربت أخرى، وخان غيرهم وتمرّد، حتى روي أنّ يهوديّاً من يهود المدينة أو خيبر، قال للإمام علي عليه السلام: ما إن مات نبيُّكم حتى اختلفتم بعده، أو اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجفّ ماؤه، أو أنتم ما دفنتم نبيّكم حتّى اختلفتم فيه،.. فأجابه الإمام عليٌّ عليه السلام: «اختلفنا بعده ولم نختلف فيه»، أو:«إنّما اختلفنا عنه لا فيه»؛ أما أنتم فما إن جفّت أقدامكم من البحر، أو قبل أن تجفّ أقدامكم، حتى قلتم لنبيكم: ﴿اجْعَلْ لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾. فبهت اليهودي وتعجب...[٦]

فاؤلئك ما إن غاب نبيهم موسى عليه السلام حتى عصوا خليفته عليهم، وهو نبيٌّ أيضاً هارون عليهالسلام، فعبدوا العجل، واتخذوه إلهاً من دون الله، أما المسلمون فاختلفوا فيما بينهم فيمن يخلفه صلى الله عليه وآله في الإمامة كما يأتينا...

إذن لم تكن ظاهرة الردة مما تفردت به أمتُنا هذه دون أمم سبقت،

---

٥. أنظر تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت٦٧١ هـ) تفسير الآية: ١٣٨ الأعراف.

٦. تفسير الزمخشري، الآية:١٣٨ الأعراف؛ بهج الصباغة في تفسير نهج البلاغة، الحكمة ٣١٧؛ شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد٤:٣٨٩، مع اختلاف الألفاظ.

حتى أنها ظهرت بشكل قوي بُعيد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، واحتلت حروب الردة والمرتدين حيزاً كبيراً في العصر الأول، فمساحة من التاريخ الإسلامي، وكان لها أسبابها وآثارها، وإن شهدت تضخيماً في العديد من مفاصلها، واتهاماً لأناس أبرياء قضوا بسببها، وهو ما نجده في هذه المقالة، التي أحاول إيجازها..

ولكن الأخطر:

أنّ هذه الردة وأحكامها صارت طيلة تاريخنا وحاضرنا سيفاً مسلطاً، أريقت به الدماء، وأهينت به الكرامات، وتمَّ التجاوز فيه على الأحكام الشرعية والأخلاقية والاجتماعية من قبل مَن لا يردعهم رادع من دين ولا خلق،... ولا يمنعهم مانع عن ركوب الشهوات وارتكاب المحرمات، والإساءة للدين وشريعته.. وغدت منهجَ تُهَمٍ تلصقها السلطات بكلّ من يخالفها ويعارضها، خاصة وقد وضعت في سياق المناجزة السياسية التي وقعت بين سلطة الخلافة عبر تاريخها ومؤيّديها من جهة ومعارضيها من جهة أخرى، فتنزل بهم أقسى أنواع العذاب، وراح ضحية ذلك عشرات بل مئات الأبرياء والصالحين بينهم علماء ومصلحون ومفكّرون، كلّ جريمتهم أنه كانت لهم قراآت مختلفة عن قرآات مألوفة أو مشهورة، أو أنّ لهم مواقف مباينة لمن له سلطة دنيوية أو دينية، أو كانوا يتبنون فكراً أو يؤدون فعلاً سياسياً مضاداً للخلفاء والحكّام الذين تعاقبوا

على حكم هذه الأمة وتسلطوا عليها بالقمع والإكراه، فهي تكاد أن تكون تهمة جاهزة لأصحاب الرأي والمواقف،طالما راح الحكّام الظلمة يبرقعون بها خصومهم والمعارضين لأنظمتهم، كما هو الحال اليوم حين راح الطغاة يصفون معارضيهم على المستوى الفكري والسياسي بتهمٍ هم منها بُرَآء...

كما أنها أُدخلت في دائرة السجال داخل المجال الإسلامي الثقافي والمعرفي عقيدةً ومفاهيم وما يلازمه من أحكام فقهية، حتى غدت وللأسف الشديد أداة تسقيط يوجهها بعضنا للبعض الآخر المخالف في التوجه أو الفهم، استخدمت لا فقط في الساحة الإسلامية، بل حتى بين أبناء المذهب الواحد، والجماعة الواحدة،ولا أبالغ إن قلت حتى بين أبناء العائلة الواحدة..،ولكثرة من اتهم بالردة من أصحاب الفكر والقلم والقول الحرّ، ولعِظم من ذهب ضحيةً لتهمة الانحراف عن الإسلام، أو الرجوع عنه، فقد سجل لنا التاريخ لا فقط إساءةً للدين الحنيف، وهي كارثة خطيرة، بل دوّن غياباً للفكر الحرّ والعقل المنفتح والموقف الواعي، واحتكاراً للمفاهيم وتسييداً للاستبداد، وتجهيلاً للناس،واستخفافاً بالعقول، وأدّى هذا الفعل إلى أنّ النخب العلمية وحتى غيرها، راحت توجد رابطةً بين التهمة بالردة والارتداد وما يشاكلها كالزندقة والانحراف، وبين من له رأي وموقف، وكانت النتيجة الأخطر أنّ هذا الاتهام وما يشاكله ترك ردةً حضارية وخروجاً عن مبادئ الدين الحنيف وقيمه بوقت قصير من رحلة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى يومنا هذا..

فما هو هذا الارتداد؟

لغةً واصطلاحاً:

لم أجد فرقاً يذكر بين ما عليه اللغويون في معنى الردة والارتداد،وما عليه الفقهاء والمفسرون، فالارتداد اصطلاحاً هو الرجوع إلى الكفر بعد الإسلام. فالردة: من الفعل ردَّ يرُدُّ ردًّا ورِدّةً، وارتد عنه: تحوّل. والردة: الاسم من الارتداد، والردة في الإسلام: هي الرجوع عنه. وارتد فلان عن دينه، إذا كفر بعد إسلامه...[٧]

وفي التنزيل العزيز:

ذكرت الردة صراحةً لأكثر من مرة، أي أنّ آيات قرآنية جاءت مستعملة المفردة نفسها: الردة والارتداد، تحمل المعنى اللغوي نفسه أي الرجوع عن الإسلام:

﴿... وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.[٨]

---

٧. المعجم الوسيط؛ والقاموس الفقهي، لسعدي أبو الجيب ١٤٦- ١٤٧؛ ومفردات القرآن، للراغب الأصفهاني؛ ومجمع‌البيان، للشيخ الطبرسي؛ ومباني تكملة المنهاج، للسيد الخوئي؛ والفقه الإسلامي وأدلته، للدكتور وهبة الزحيلي٦: ١٨٣. وغيرها من مصادر اللغة والتفسير والفقه.

٨. سورة البقرة :٢١٧.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾.[٩]

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّواْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾.[١٠]

وهناك آيات أكثر ذكرت الردة بمعناها دون التصريح بلفظها، منها:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْراً لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾.[١١]

وكذا الآيات: ٨٦، ١٠٦، ١٧٧.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْراً لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً﴾.[١٢]

نفوس يبدو أنها لم تعرف الاستقرار في قرارها حتى ازدادت كفراً، وهنا يقول الزمخشري في تفسيره للآية:

إنّ الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والإصرار عليه، يستبعد منهم أن يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف

---

٩. سورة المائدة : ٥٤.

١٠. سورة محمد : ٢٢.

١١. سورة آل عمران : ٩٠.

١٢. سورة النساء : ١٣٧.

من إيمان صحيح ثابت يرضاه الله؛ لأنّ قلوب أولئك الذين هـذا ديـدنهم قلوب قد ضربت بالكفر ومرنت على الردّة، وكـان الإيمـان أهـون شـيء عنده وأدونه، حيث يبدو لهم فيه كرّة بعد أخرى، وليس المعـنى أنهـم لـو أخلصوا الإيمان بعد تكرار الردّة ونصحت توبتهم لم يقبـل منـهم ولم يغفـر لهم، لأنّ ذلك مقبول حيث هـو بـذل للطاقـة واسـتفراغ للوسـع، ولكنـه استبعاد له واستغراب، وأنه أمر لا يكاد يكون، وهكذا ترى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع، لا يكاد يرجى منه الثبـات. والغالـب أنه يموت على شرٍّ حال وأسمج صورة. وقيل: هم اليهود، آمنـوا بـالتوراة وبموسى ثم كفروا بالإنجيل وبعيسى. ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمدﷺ.

في حين أنّفي سورة النحل: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.[١٣] تتحدث عمن هو المرتد، إنـه مـن كفـر بالله بكامل حريته واختياره، ونطق كلمة الكفر بفمٍ مـلآن وقلـبٍ منفـتحٍ قاصدٍ، دون مَن فقدَ تلك الحرية وذلك الاختيار..

وآيات أخرى أشارت إلى طائفة حاولت إضلال المسلمين مجاهرةً، مستعملة المفردة نفسها كما في الآية:

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً

---

١٣. سورة النحل : ١٠٦.

﴿حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[١٤]

فقد تمنّى هؤلاء أن يعيدوا كلّ من آمن إلى الكفر، وقد خرجوا منه، بدافع الحسد الذي امتلك أنفسهم بعد أن أعدَّ الله تعالى للمؤمنين من الأجر والثواب...

فيما هذه الآية من آل عمران:

﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.[١٥] تتحدث عن أنّ هناك طائفة أخرى راحت تتآمر لإضلال المسلمين بالمخادعة حين أعيتهم تلك المجاهرة ولم تفدهم شيئاً، أوعزوا لبعض أتباعهم أن «آمِنوا بمحمد أولَ النهار مظهرين أنكم صدّقتموه ثم اكفُروا آخر النهار؛ ليظهر أنكم كفرتم به عن بصيرة وتجربة، فيقول المسلمون: «ما صرف هؤلاء عنا إلاّ ما انكشف لهم من حقيقة أمر هذا الدين، وأنّه ليس هو الدين المبشر به في الكتب السالفة»، فهدفها زرع البلبة والاضطراب في الساحة المسلمة.

فقد كانوا يعلمون بأنّ الرسول حقٌّ، ويعلمون دلائل نبوّته الموجودة في كتبهم، ولكنهم كانوا لا فقط يكتمون هذا الحقَّ، بل راحوا ينالون من

---

١٤. سورة البقرة : ١٠٩

١٥. آل عمران : ٧٢ .

معتقد المسلمين ويشقّون صفوفهم، حين يطلبون من جماعة منهم أن ينضمّوا إلى المسلمين، ويعلنوا إسلامهم ثم يرتدوا عنه بعد ذلك، لأنه ليس حقّاً...

يقول الرازي في ذيل هذه الآية: أنّ اليهود والنصارى استخرجوا حيلة في تشكيك ضعفة المسلمين في صحة الإسلام، وهو أن يظهروا تصديق ما ينزل على محمدﷺ من الشرائع في بعض الأوقات، ثم يظهروا بعد ذلك تكذيبه، فإنّ الناس متى شاهدوا هذا التكذيب، قالوا: هذا التكذيب ليس لأجل الحسد والعناد، وإلا لما آمنوا به في أول الأمر، وإذا لم يكن هذا التكذيب لأجل الحسد والعناد وجب أن يكون ذلك لأجل أنهم أهل الكتاب، وقد تفكروا في أمره واستقصوا في البحث عن دلائل نبوته فلاح لهم بعد التأمل التام، والبحث الوافي أنه كذاب، فيصير هذا الطريق شبهة لضعفة المسلمين في صحة نبوته، وقيل: تواطأ اثنا عشر رجلاً من أحبار يهود خيبرعلى هذا الطريق. وقوله:﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. معناه أنّا متى ألقينا هذه الشبهة فلعل أصحابه يرجعون عن دينه.[١٦]

ومع أنّ الارتداد والردة: هما الرجوع في الطريق الذي جاء منه، لكن الردة تختص بالكفر، أما الارتداد فيستعمل في الكفر وفي غيره كما ذكره الأصفهاني:

---

١٦. تفسير مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الرازي (ت ٦٠٦ هـ).

﴿قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله...﴾.[١٧]

﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى...﴾.[١٨]

﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر...﴾.[١٩]

﴿فارتدا على آثارهما قصصاً﴾.[٢٠]

﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين﴾.[٢١]

شروط وعقوبات:

ولعظم خطر الارتداد، ولما قد يتركه هذا الفعل من آثار سيئة وخطيرة على المؤمنين حين يخرجهم من النور إلى الظلمات، وعلى الساحة ومستقبل دعوتها الإسلامية خاصةً وهي بعدُ في نشأتها الأولى يومذاك، وشوكتها ضعيفة، وأتباعه ومريدوه قليلون، تحدث عنه التنزيل

---

١٧. الأنعام : ٧١.

١٨. سورة محمد:٢٥.

١٩. سورة البقرة : ٢١٧. سورة المائدة: ٥٤.

٢٠. سورة الكهف: ٦٤.

٢١. سورة المائدة :٢١ ؛ مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني.

العزيز في آيات عديدة، مبيّناً ومحذّراً منه ومن الاستجابة لمن يدعو إليه سواء من داخل الساحة المسلمة أو ممن هم قريبون منها من أهل الكتاب؛ لإضعاف كيان المسلمين، وإرباك ساحتهم، متوعداً من يرتضيه بعذاب أليم وخسران مبين.

فيما هناك أجر كريم وثواب جزيل لمن يرفضه ويثبت على دينه ولا يبدله.. فإنّ هذه الظاهرة عموماً لم تكن بعيدةً أن تقع لشخص ذكراً أو أنثى أو لأفراد أو لجماعات، اختاروا بين الله تعالى والدنيا طواعية، ورأت مصالحهم أنّ أمور الدنيا لها الأولوية، فخرجوا من دينهم،من بعد ما بان لهم طريق الحقِّ وتبيّن له الهدى جليّاً.. وهو ما نطق به التنزيل العزيز:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾.[٢٢] وهو شرط مهم بل الشرط الأهم الذي يجب أن لا يُغفل عنه حين اصدار حكم الارتداد على المسلم، ولا بدَّ فيه من توخي الدقّة والحيطة..

لقد جاءت الآيات تشجع المسلمين على مزيدٍ من الثبات على الدين، كما حذرتهم من الارتداد وعواقبه عليهم، وصارت تضع لمن يفعل ذلك عقوبات أخروية، إضافةً إلى حرمانهم ثمرات الإسلام ونعمه في الدنيا والآخرة بحبوط أعمالهم، أي ببطلانها...، ذكرتها آيات؛ منها:

---

٢٢. سورة محمد : ٢٥.

﴿ومَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.[٢٣]

ولابن عاشور كلام نافع جداً في تفسير هذه الآية: ... وحَبطُ الأعمال: زوال آثارها المجعولة مرتبة عليها شرعاً، فيشمل آثارها في الدنيا والثواب في الآخرة وهو سرّ قوله: ﴿فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، فالآثار التي في الدنيا هي ما يترتب على الإسلام من خصائص المسلمين وأولها آثار كلمة الشهادة من حُرمة الأنفس والأموال والأعراض والصلاة عليه بعد الموت والدفن في مقابر المسلمين.

وآثار العبادات وفضائل المسلمين بالهجرة والإخُوَّة التي بين المهاجرين والأنصار، وولاء الإسلام، وآثار الحقوق، مثل حق المسلمين في بيت المال، والعطاء، وحقوق التوارث، والتزويج، فالولايات والعدالة وما ضمنه الله للمسلمين مثل قوله﴿:من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾.[٢٤]

وأما الآثار في الآخرة فهي النجاة من النار بسبب الإسلام وما يترتب على الأعمال الصالحات من الثواب والنعيم.

---

٢٣. سورة البقرة : ٢١٧.

٢٤. النحل: ٩٧.

والمراد بالأعمال: الأعمال التي يتقربون بها إلى الله تعالى، ويرجون ثوابها، بقرينة أصل المادة ومقام التحذير؛ لأنه لو بطلت الأعمال المذمومة لصار الكلام تحريضاً، وما ذكرت الأعمال في القرآن مع «حبطت» إلاّ غير مقيدة بالصالحات اكتفاءً بالقرينة.

وقوله: ﴿**وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**﴾، عطف على جملة الجزاء على الكفر، إذ الأمور بخواتمها، فقد ترتب على الكفر أمران: بطلان فضل الأعمال السالفة، والعقوبة بالخلود في النار، ولكون الخلود عقوبة أخرى أعيد اسم الإشارة في قوله: ﴿**وأولئك أصحاب النار**﴾. وفي الإتيان باسم الإشارة في الموضعين التنبيه على أنهم أحرياء بما ذكر بعد اسم الإشارة من أجل ما ذكر قبل اسم الإشارة.

هذا وقد رتّب حبط الأعمال على مجموع أمرين:

الارتداد.

والموت على الكفر.

ولم يقيد الارتداد بالموت عليه في قوله تعالى:

﴿**ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾.[٢٥]

وقوله تعالى:﴿**لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من**

---

٢٥. سورة المائدة: ٥.

﴿الخاسرين﴾.[٢٦]

وقوله تعالى:

﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾.[٢٧] .[٢٨]

كما جاءت آيات أخرى تهدد هؤلاء المرتدين بغضب من الله وبعذاب عظيم، وبعدم المغفرة وعدم الهداية،وأنه تعالى يعذبهم عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة...[٢٩]

وأخرى دنيوية ذكرتهاكتب الرواية والفقه للفريقين، وللإيجاز نكتفي هنا بما ذكره السيد الخوئي، وخلاصته:

متى ثبتت ردة الإنسان المسلم البالغ العاقل المختار، وهو عند الإمامية قسمان، رتبت على كل قسم أحكامها، وهي عديدة، نذكر أهمها:

المرتد الفطري: وهو الذي ولد على الإسلام من أبوين مسلمين أو من أبوين أحدهما مسلم، يجب قتله وتبين منه زوجته وتعتد عدة الوفاة وتقسم أمواله حال ردته بين ورثته.

فيما المرتد الملّي: وهو من أسلم عن كفر ثم ارتد ورجع إليه،

---

٢٦. الزمر: ٦٥.

٢٧. الأنعام: ٨٨.

٢٨. تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ)، الآية.

٢٩. النحل : ١٠٦،١٠٧؛ النساء : ١٠٧؛ التوبة : ٧٤.

يستتاب، فإن تاب خلال ثلاثة أيام فهو وإلا قتل في اليوم الرابع، ولا تزول عنه أملاكه، وينفسخ العقد بينه وبين زوجته وتعتد عدة الطلاق إذا كانت مدخولاً بها...[٣٠]

ولمن يريد المزيد حول موضوع الارتداد يراجع كتاب الفائدة والبرهان للمحقق الأردبيلي ١٣ : ٣١٣ المقصد الثامن في الارتداد، وهو قطع الإسلام من مكلف إما بفعل كالسجود للصنم ...وإما بقول عناداً أو استهزاءً أو اعتقاداً...

وأما الدكتور الزحيلي، فأفرد فصلاً كاملاً في كتابه الفقه الإسلامي وأدلته ٦ : ١٨٣ـ١٩٢ ذكر فيه تفصيلاً لمعنى الردة وشروط صحتها وأحكام المرتد وأهمها: القتل، وحكم أمواله وتصرفاته، ومايتركه من إرث، وموضوع توبته،...

الردة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله:

فما إن تُوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وتسلّم أبوبكر الخلافة، حتى راحت مصادر التاريخ تحدثنا عن وقوع الردة عن الإسلام على نطاق واسع بين القبائل العربية، فهذا الزمخشري يذكر الفرق التي وصفت بالردة:... وقيل: بل كان أهل الردة إحدى عشرة فرقة:

---

٣٠. أنظر مباني تكملة المنهاج، للسيد الخوئي، الارتداد : ٣٢٤ ـ ٣٢٦.

ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله: بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو الأسود العنسي، وكان كاهناً تنبأ باليمن واستولى على بلاده، وأخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وآله، فكتب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى معاذ بن جبل والى سادات اليمن، فأهلكه الله على يدي فيروز الديلمي، بيته فقتله، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتله ليلة قتل، فسرّ المسلمون وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله من الغد، وأتى خبره في آخر شهر ربيع الأول.

وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد فإنّ الأرض نصفها لي ونصفها لك، فأجاب عليه الصلاة والسلام: من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب: أما بعد فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. فحاربه أبوبكر بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة،وكان يقول: قتلت خير الناس في الجاهلية وشرّ الناس في الإسلام، أراد في جاهليتي وإسلامي. (فقد قتل عمَّ النبيِّ حمزة بن عبد المطلب في معركة أحد، وقتل مسيلمة أو شارك في قتله).

وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وآله، فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه. وسبع في عهد أبي بكر: فزارة قوم عيينة بن حصن، وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري، وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد يا ليل، وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة، وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها

مسيلمة الكذاب، وفيها يقول أبو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري:

أمت سجاح ووالاها مسيلمة ✡ كذابة في بني الدنيا وكذاب

وكندة قوم الأشعث بن قيس، وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد،... وفرقة واحدة في عهد عمر غسان قوم جبلة بن الأيهم نصرته اللطمة (لطمة عمر)...[٣١]

وهي ظاهرة وقعت، ولكن لو صحّت سعتُها، لرأيتها تثير العجب والاستغراب، وتستوقف كل قارئ وباحث لمعرفة حقيقة ما حدث، فهذا الشيخ محمد حسن آل ياسين،هو واحد من هؤلاء الباحثين الذين أثارت استغرابهم هذه الكثرة الكاثرة ممن رجعوا عن دينهم، واختاروا الكفر على الإيمان، فما إن قرأ الشيخ تلك الأكداس الضخمة من الروايات والقصص والوقائع في تاريخ الطبري،والتي تتحدث عن ارتداد المسلمين إثر وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله بالجملة وبالمفرد حتى أثارت دهشته وعجبه..فقد ذكرت روايات الطبري ردة طيّ وغطفان وأسد وهوازن وسليم وعامر وأهل اليمامة وبني تميم وأهل كلّ من البحرين وعُمّان ونجد وتهامة واليمن وحضرموت..، وبعد أن يذكر هذا في كتابه، يقول الشيخ آل ياسين: وهنا

---

٣١. أنظر الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل،تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي (ت ٤٦٧ هـ) : ٦٢٠ -٦٢١.

أجد من حقّي أن أقف قليلاً لأسأل وأستفهم: هل وقع الارتداد بمثل هذا الشمول؟! وكيف؟! ولماذا؟!...

ولم يكتفِ بهذا، فراح يتساءل: هل من المعقول أن يقوم هؤلاء المسلمون المعتنقون للإسلام عن قناعة ورضى وتصديق بحمل راية الارتداد عن الدين؟! وهل من المنطقي أن يبادر للارتداد أولئك الذين كانت مساكنهم بعيدة عن دائرة الحركات العسكرية، ولم يصلهم جندي واحد من جنود الإسلام، وإنما كان إسلامهم بمحض رغبتهم واندفاعهم وتصديقهم، مجرداً عن كلّ لون من ألوان التأثير والتوجيه إلا تأثير البرهان وتوجيه الدليل؟! وهل جاءهم طليحة أو مسيلمة أو سجاح بمعجزة أسمى أو خارق عادة أقوى من ذلك الذي جاءهم به محمد صلى الله عليه وآله حتى يتخلوا عن الإسلام ويتبرأوا منه... فهل جاءُوهم بكلام أبلغ من القرآن وأكثر منه بهاءً وروعةً وطلاءً وجمالاً، فيحملهم على الارتداد واستبدال شيءٍ مكان شيءٍ؟! وبعد أن ذكر نصوصاً مما جاء به هؤلاء المدّعون للنبوة، كان منها خطاب طليحة للعرب: «أمرتُ أن تصنعوا رحى ذات عُراً، يرمي الله بها من رمى، يهوي عليها من هوى».

وكان منها خطاب سجاح لهم : «أعدوا الركاب، واستعدوا للنهاب، ثمَّ غيروا على الرباب، فليس دونهم حجاب».

وكان منها كلام مسيلمة: «ألم ترَ إلى ربك كيف فعل بالحبلى، أخرج

منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشى»...[٣٢]

يقول: هل خدعت العرب، وانطلت عليهم، فظنوها وحياً وإعجازاً؟ وهل كان الفرد العادي منهم ـ ولا نقول: بليغهم أو نابغتهم ـ عاجزاً عن الإتيان بمثل هذه الفضول من القول؟ أو يرضى بأن ينسب له هذا اللون من الهذيان؟ وهل تردى الذوق العربي ـ وقد كان في قمة البلاغة إذ خاطبه الله تعالى بمعجزة البيان البليغ ـ حتى استقر في هذا الحضيض؟ وهل فقدت هذه الأمة فهمها ومعرفتها وقوة تمييزها حتى أصبح لديها هذا الهراء مثال البلاغة المتناهية التي تحمل العربي على رفض دينه السابق اقراراً بإعجاز هذا الكلام الساقط المرذول؟... فكيف يصحّ من هذه الأمة.. أن تترك كلّ أفكار القرآن وكلّ أفكار محمد صلى الله عليه وآله وكل ما تعلمته من أفكار الإسلام وتنساق طواعية وراء هذه السخافات والترهات والتعابير الحمقاء؟ وهل يستطيع أحد أن يعتبر هذه الأمة أمة إدراك وحضارة إذا كانت قد استبدلت ذاك الفكر المشرق العظيم بهذا اللغو المقزز السخيف؟!...

ثمَّ صار يناقش جميع روايات الطبري عن الردة سنداً ومتناً ونقداً...[٣٣]

---

٣٢. أنظر في تاريخ الطبري ٣ : ٢٦٠، ٢٦١، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٨٤...

٣٣. حول الردة و...، أنصح بمراجعة كتاب (نصوص الردة في تاريخ الطبري، نقد وتحليل، بقلم الشيخ محمد حسن آل ياسين) نقلت شيئاً منه بتصرف وإيجاز.

إنّ حادث الردة والارتداد وأسبابه في العصر الأول للإسلام وبالذات ذاك الذي وقع بعد وفاته صلى الله عليه وآله لم يخلو هو الآخر من كذب وتزوير وتضخيم، ولم ينجو من مبالغات في أعداد من تورطوا فيه فعلاً، حتى وصفتهم الأخبار بأنهم أفواج، وكأنّ هذا الوصف يذكرنا بأنهم كما صاروا بعد فتح مكة يدخلون في دين الله أفواجاً وهو ما حملته لنا سورة النصر المباركة، صاروا بعد سنتين أو أقلَّ قليلاً يخرجون من دين الله أفواجاً أيضاً... وكأنّ ذلك الشرّ حين ناداهم جاءُوه مسرعين مهطعين له؛

قوم إذا الشرأبدى ناجذيه لهم ۞ طاروا إليه زرافات ووحدانا.[٣٤]

ليلتحقوا بالمتنبئين وحركاتهم حين بدت نواجذ شرّهم تظهر، وتآمر أعداء الدين من المنافقين وأهل الكتاب في الساحة المسلمة ينشط يومذاك..

إنّ مشكلة ما نقلته لنا الأخبار عن تلك الفترة، لم تفرّق بين ما يتعلق الأمر بالمرتدين فعلاً وعلى رأسهم أولئك المتنبئون وضعيفو التدين، وبين غيرهم ممن سجّل مواقف عديدة تتمثل بمن رفضوا ولاية أبي‌بكر، أو تأنّوا في قبولها حتى حين، إما لأنّ كلَّ قبيلة لا ترى ترجيحاً له على رئيسها،أو لأنّ القبائل العربية في تاريخها لم يعرف لها زعيم واحد

---

٣٤. وردت (زرافات ووحدانا) في قصيدة للشاعرالجاهلي قريط بن أنيف العنبري التميمي يمدح قبيلة مازن ويذم قبيلته.. ديوان الحماسة لأبي تمام.

يقودها، وإنما تدين كلٌّ واحدة منها بالولاء لأميرٍ منها، فلم يعتادوا قائداً واحداً لهم، وإذا خضعت ودانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وقبلت به زعيماً لها؛ لأنه نبيٌّ مرسل من قبل الله تعالى، ويحمل رسالة السماء، فآمنت به وبرسالته السماوية وتولته.. وإما أن رفضها أو رفض بعضها لولاية أبي بكر وتمنّعها عليه؛ لأنها ترى عدم أحقيّته دون غيره بهذا المنصب، خاصة من الصحابة الآخرين مهاجرين وأنصاراً، فيما يرى آخرون وفيهم العديد من أجلاء الصحابة أنّ الإمام عليّاً عليه السلام هو الذي يستحق ولاية أمر المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لما ورد فيه من النصوص والمواقف النبوية المباركة... فالردة إذن وللإنصاف وما ورد فيها من أخبار في كتب التاريخ يحتاج إلى مزيد تحقيق وتثبت، ولابدَّ من الالتفات لهذه الأمور، والتفريق بين الطوائف في الساحة يومذاك والتي يأتي ذكرها، ودراسة كلّ ظاهرة منها وطائفة مستقلة عن غيرها؛ ليتضح واقع الحال.

كما أنّ الأهم الذي يجب أن لا يُغفل عنه أو يُتجاوز هو الفتنة الأولى،التي وقعت بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله، وما حدث في سقيفة بني ساعدة، هو الفتنة الأولى،التي وقعت بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله، وبما حدث في سقيفة بني ساعدة، حين اجتمع طلاب الزعامة من الفريقين، وما خلّفته من اضطراب للواقع الديني والاجتماعي والسياسي، وضجّة وفوضى عمَّت طائفةً كبيرةً من الناس، وفي هكذا جوٍّ مرتبكٍ ظهر فجأةً رأي لاختيار الخليفة، وصف فيما بعد من قبل الخليفة الثاني وغيره بأنه

(فلتةٌ)! ومعنى فلتة لغةً: الأمر يحدث من غير رويّة وإحكام ولا تدبُّر..[٣٥]

فما إن توفي رسول الله صلى الله عليه وآله حتى استعجل الأنصار في عقد مؤتمرهم داخل سقيفتهم المعروفة بسقيفة بني ساعدة، وما إن سمع المهاجرون وبالذات (أبوبكر وعمر وأبوعبيدة بن الجراح) حتى جدّوا السير للالتحاق بالمجتمعين في السقيفة المذكورة.

وبعد أن دار بين الفريقين الأنصار وهؤلاء القادمين إليهم من المهاجرين جدالٌ اتسم في بعض فصوله بالعنف والشدة، تمخّض اجتماعهم عن بيعة أبي بكر للخلافة، هذا في داخل السقيفة، فيما خارجها انقسم الناس إلى طوائف عديدة.

وقبل ذكر هذه الطوائف، أنقل ما ذكره السيد شرف الدين عما استهلت به خلافة أبي بكر حيث كان الخلاف محتدماً بين السابقين الأولين في أمر الخلافة؛ فأهل البيت عليهم السلام وأولياؤهم كانوا فيها على رأي، وأبوبكر وعمر وأبو عبيدة وسالم وأتباعهم على رأي آخر. وكذلك الأنصار ﴿الَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا﴾ حتى غلب نقيبهم سعد بن عبادة على أمره فاعتزلهم واعتزل أمرهم يحلف بالله أنه لو وجد أعواناً عليهم لقاتلهم ثم

---

٣٥. السيرة النبوية لابن هشام، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٤ : ٣٠٧ــ ٣٠٨ وغيرها من مصادر التاريخ والرواية؛ ومعاجم اللغة، منها تاج العروس والمعجم الوسيط..

لم تجمعه جمعتهم ولم يفض بإفاضتهم حتى مات في حوران...[٣٦]

أما عن الطوائف التي أفرزها الواقع فهي:

١. طائفة قبلت بأبي بكر خليفةً وراحت تدعو المسلمين لبيعته..

٢. طائفة رفضت بيعة أبي بكر..

٣. طائفة رفضت تسليم الزكاة أو تريثت في تسليمها حتى ينجلي الموقف حول الخلافة...

٤. طائفة لم تؤمن بالنبيﷺ رسولاً من عند الله تعالى، وإن أسلمت، وتعاملت معه كقائد سياسي لاغير، وظلّت بطبيعتها تتربص فرصة وفاتهﷺ لتنتفض..فلما وقعت وفاتهﷺ انقلبت، وأكثرهم من المنافقين، الذين ظلّوا يتربصون الدوائر بالمؤمنين.

٥. الأعراب، منهم طائفة واسعة من الذين أسلموا قبل وفاتهﷺ بوقت لم يكن كافياً لأن يستوعبوا مبادئ الدين وقيمه وأحكامه، ويتأثروا فيها، فما إن أسلموا حتى توفي الرسولﷺ فصدموا، ثمَّ فوجئوا وهم

---

٣٦. أنظر النص والاجتهاد: ١١٧-١١٨مع مصادر ما ذكره. وعن اضطراب الساحة بعد وفاة رسول اللهﷺ انظر مصادر التاريخ، ومنها كتاب الردة للواقدي، تحت عنوان: اضطراب أمر الناس عند وفاة النبيﷺ: ٢٧ وما بعدها. وعن تخلف العديد من الصحابة عن بيعة أبي بكر، انظر مسند أحمد ١ : ٥٥؛ والطبري ٢ : ٤٦٦؛ وابن كثير ٥ : ٢٤٦؛ وابن الأثير٢ : ١٢٤؛ وتاريخ أبي الفداء ١ : ١٥٦؛ والعقد الفريد، لابن عبدالبر ٣ : ٦٤.

ضعيفو التدين عقيدةً وأحكاماً ومعرفةً ـ بأصحابه في السقيفة يتنازعون أمره بعده.. وكان على السلطة وأصحاب الحلّ والعقد مراعاتها وتسديدها حتى يقوى إيمانها، لا أن تعلن الحرب عليها أسوةً بغيرها من أعداء الدين..

فيما قد تكون هناك طائفة من جهلاء الأعراب وجفاتهم وقساتهم، لا ترى إلا منافعها ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾.[٣٧]

من أسباب نزولها أنها نزلت في أعراب كانوا يَقْدَمون على النبيّ صلى الله عليه وآله فيُسلِمون؛ فإن نالوا رخاءً أقاموا، وإن نالتهم شدّةٌ ارتدّوا. وذكر سبب آخر: كان الرجل يَقْدَم المدينة فإن ولدت امرأته غلاماً ونُتِجت خيله قال هذا دين صالح؛ فإن لم تلد امرأته ولم تُنْتَج خيله قال هذا دِين سَوْء..[٣٨]

فمن كانت هذه علاقته بالدين، وتعامله معه مبنيٌّ على قدر ما يعطيه ويحقق له مغانم يتمناها، ومصالح يبتغيها، فهو أقرب إلى الكفر منه إلى الإيمان، وارتداده يكون أمراً متوقعاً حصوله في أي لحظة..

---

٣٧. الحج : ١١.

٣٨. تفسير القرطبي؛ ومجمع البيان، للطبرسي:الآية.

آقا کمال طرحی گویا یا عکس یا نفشه قدیمی مدینه مقاله در باره ارتداد در صدر اسلام است.

٦. فيما عدا هؤلاء، فهناك المتنبئون، وهم من ادعى النبوة في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله.

مسيلمة الكذاب والأسود العنسي فيما طليحة الأسدي وسجاح ادعوها بعد وفاته صلى الله عليه وآله ومن تبعهم، وشكلوا خطراً كبيراً، إذ نشطوا أكثر بعد رحيله صلى الله عليه وآله وبعد ارتدادهم عن الإسلام. فقد ذكرت الأخبار أنّ الأسود العنسي، ومسيلمة بن حبيب، وسجاح بنت الحارث، وطليحة بن خويلد صاروا أكثر جرأةً في دعواتهم، وعرضوا أنفسهم على القبائل لاستمالتها إليهم، فكسبوا أعداداً من الأتباع والمؤيدين بل والمقاتلين في صفوفهم، وقاموا بأعمال وأدوار خطيرة راحت تهدد كيان الإسلام الحنيف ودولته في المدينة، فكان قتالهم أمراً لا بدَّ منه، وهو ما وقع فعلاً..

٧. وإضافةً إلى ذلك، هناك أعداء الإسلام التقليديون اليهود والنصارى، الذين لم يتوقف مكرهم، ورأوا أنّ رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله فرصتهم في الكيد للإسلام والمسلمين سرّاً وعلانية..

هذا وقد ذكروا أنّ هناك سببين للحروب التي سميت حروب الردة، وراحت سلطة الخلافة تشنُّ حربها بسببهما، فيما قراءة النصوص توحي أنّ هناك أكثر من سبب كما ذكرنا يمكن للقارئ استنتاجها مما دوّنه المؤرخون عن الفتنة تلك، ولكنا نكتفي بهما وهما:

١ـ المتنبئون، ذكرنا شيئاً بسيطاً عنهم. فالمقالة هذه ليست معدَةً للكلام عنهم.

٢ـ المتنعون عن دفع الزكاة.

فقد قال الشيخ الطوسي وهو يتحدث عن أهل الردة: (أهل الردة بعد رسول الله ضربان منهم قوم كفروا بعد إسلامهم مثل مسيلمة وطليحة والعنسي وأصحابهم وكانوا مرتدين بالخروج من الملة بلاخلاف.

والضرب الثاني قوم منعوا الزكاة مع مقامهم على الإسلام وتمسكهم به، فسموا كلهم أهل الردة، وهؤلاء ليسوا أهل ردة عندنا وعند الأكثر).[٣٩]

فالنوع الثاني أُطلق عليه عنوان الردة، وهو بلا شك إطلاق ظالم لهم. فهم قائمون على الإسلام كما يذكر الشيخ وغيره أيضاً. وقبل أن نأتي إلى من اتهم بالردة ممن منع زكاته عن إرسالها لمقر الخلافة، لا بدَّ لنا أن نضع السؤال التالي:

هل يشكل منع الزكاة ارتداداً وكفراً في المفهوم الإسلامي؟!

ونترك الإجابة للشيخ محمد حسن آل ياسين رحمه الله تعالى حيث يجيب بكلمة صريحة وقاطعة: كلا. ثمَّ يواصل إجابته قائلاً: ولو راجع القارئ كتب الحديث المعتمدة عند المسلمين لاطمأن بسلامة هذا النفي وصحته، وحسبنا نظرة نلقيها على بابي وجوب الزكاة وإثم مانعها في صحيحي البخاري٢ : ١٢٤ و١٢٦؛ ومسلم ٣ :٧٠و٧٤؛ لنعلم بأنّ مانع الزكاة قد أوعده الله ورسوله بالعذاب المقيم والعقاب الأليم، من دون أن

---

٣٩. المبسوط ٧ : ٢٦٧.

يكون في البين ما يصرح بالكفر أو الارتداد أو الرجوع عن الإسلام، وذلك لأنّ حكم الامتناع عن دفع الزكاة غير حكم انكار التشريع والوجوب المفروض. ومع أنّ بعض الصحاح قد روى حديثاً نبوياً في الصلاة يقول: «إنّ بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة».[٤٠] وسواء قلنا بضرورة تأويل معناه أم لم نقل، فإننا لم نجد مثله في تلك الصحاح في ترك الزكاة. وإذا كان هذا هو الحكم الشرعي في المسألة ـ وهو كذلك قطعاً ـ فبماذا نبرر ما نقرأ في نصوص الطبري مما يدل صراحةً على أنّ حكومة الخلافة يومئذ قد اعتبرت كلَّ مانع للزكاة أو ممتنع عن دفعها لجباة الحكومة كافراً ومرتداً وراجعاً عن الإسلام؟! لقد روى الطبري في تاريخه: «والداعية الأذان، فإذا أذَّن المسلمون فأذِّنوا، كفوا عنهم، وإن لم يؤذنوا، عاجلوهم، وإن أذّنوا اسألوهم ما عليهم، فإن أبوا، عاجلوهم، وإن أقروا، قُبل منهم».[٤١] وقد قال الشيخ بعد أن ذكر نصوصاً دوّنها الطبري:

(وقد جاءته وفود العرب مرتدين، يقرون بالصلاة، ويمنعون الزكاة، فلم يقبل ذلك منهم وردهم).

(إنّ هؤلاء الذين يسمون بالمرتدين قد بعثوا وفوداً، فقدموا المدينة،

---

٤٠. صحيح مسلم ١ : ٦٢.

٤١. تاريخ الطبري ٣ : ٢٥١.

فنزلوا على وجوه الناس،... فتحملوا بهم على أبي بكر على أن يقيموا الصلاة وعلى ألا يؤتوا الزكاة، فعزم الله لأبي بكر على الحق، وقال: لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه).

(وقدمت هوازن رجلاً وأخرت رجلاً، أمسكوا الصدقة..)

أي لم يرسلوها إلى المدينة المنورة، ولم يذكر الراوي أسباب هذا الإمساك، وهل كان نتيجة عدم الاعتراف بشرعية الحكم القائم، أو بسبب الرغبة في التمرد على الدولة؟

يبدو منها ومما كان على شاكلتها أنّ المشكلة ـ في واقعها ـ امتناع الناس عن دفع الزكاة لعمال الحكومة، واعتبار هذا الامتناع كفراً وردةً!! من دون أن يكون في تلك الروايات ما يدل على إنكار وجوب الزكاة وتشريعها الإلهي...[٤٢]

والمؤسف إذن أنّ بعض طوائف تلك الساحة التي تئن من وطأة الاضطراب، كالتي رفضت بيعة الخليفة، وتلك الأخرى التي رفضت أو تريثت في تسليم الزكاةحتى ينجلي الموقف حول الخلافة، أدخلتا تحت الردة وحروبها، حين لم يفرّق القرار الرسمي بينهما وبين غيرهما من الطوائف. وقد ذكر المؤرخون تفاصيل هذه الحروب، التي قتل فيها الآلاف، لكنهم اختلفوا في أسبابها وسعتها وأطرافها من قبائل

---

٤٢. أنظر كتاب نصوص الردة. وسيأتينا باقي كلامه رحمه الله.

وشخصيات، ومما لا ريب فيه أنّ هناك أناساً سواء أكانوا جماعات وقبائل أم أفراداً راحوا ضحية ما حدث؛ لأنهم أبرياء مما وصفوا به من ردة عن الدين،يظهر هذا لكل قارئ ومتابع لما جرى من أحداث ووقائع..فإنّ هناك بعض القبائل أو الأشخاص عارضوا سلطة الخلافة، أو تريثوا في قبولها أو دفع الزكاة لها حتى حين.. وموقفهم هذا، لا يخرجهم من أصل الدين، ويدخلهم في الارتداد فتنطبق عليهم أحكامه، لكن سلطة الخلافة الأولى إما أنها استغلت وجود مرتدين عن الدين، فرأت فيها فرصةً لتصفية معارضيها، فراحت تصف هاتين الطائفتين بالردة، وشرعت قتالهم، أو أنّ بعض قيادات جندها صاروا يصفّون حساباتهم مع غيرهم أيضاً تحت عنوان حروب الردة،وهو ما وقع بالفعل.. و انصافاً لأولئك الأبرياء ولظلامتهم ودفعاً للتهم التي ألحقت بهم، وكانت سبباً لإراقة دمائهم والتمثيل بهم بعد قتلهم، واستباحة أموالهم والتفريق بينهم وبين زوجاتهم،... اخترنا الإشارة إلى نموذجين:

الأول: من القبائل بنو كندة:

فقد جاء في كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ) أنّ مما قاله حارثة بن سراقة:

... نحن إنما أطعنا رسول الله صلى الله عليه وآله إذ كان حيّاً، ولو قام رجل من أهل بيته لأطعناه، وأما ابن أبي قحافة فلا والله ما له في رقابنا طاعة

ولا بيعة! ثم أنشأ حارثة بن سراقة يقول أبياتاً من جملتها:

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا

فيا عجباً ممن يطيع أبا بكر

... ثم تكلم الأشعث بن قيس فقال: يا معشر كندة! إن كنتم على ما أرى فلتكن كلمتكم واحدة وألزموا بلادكم وحوطوا حريمكم وامنعوا زكاة أموالكم، فإني أعلم أنّ العرب لا تقرّ بطاعة بني تيم بن مرة وتدع سادات البطحاء من بني هاشم إلى غيره...

ثم إنّ زياد بن لبيد... سار إلى حي من أحياء كندة يقال لهم بنو ذهل بن معاوية فخبرهم بما كان.. ودعاهم إلى السمع والطاعة، فأقبل إليه رجل من سادات بني تميم يقال له الحارث بن معاوية فقال لزياد: إنك لتدعو إلى طاعة رجل لم يعهد إلينا ولا إليكم فيه عهد، فقال له زياد بن لبيد: يا هذا صدقت! فإنه لم يعهد إلينا ولا إليكم فيه عهد، ولكنا اخترناه لهذا الأمر، فقال له الحارث:أخبرني لِمَ نحيتم عنها أهل بيته وهم أحقّ الناس بها؛ لأنّ الله عزّوجلّ يقول:﴿**وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتب الله**﴾؟

فقال له زياد بن لبيد: إنّ المهاجرين والأنصار أنظر لأنفسهم منك، فقال له الحارث بن معاوية: لا، والله! ما أزلتموها عن أهلها إلا حسداً منكم لهم، وما يستقر في قلبي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج من الدنيا ولم ينصب للناس علماً يتبعونه... فارحل عنا أيها الرجل فإنك تدعو إلى

غير رضا، ثم أنشأ الحارث بن معاوية يقول:

كان الرسول هو المطاع فقد مضى

صلى عليه الله لم يستخلف!

فوثب عرفجة بن عبدالله الذهلي، فقال: صدق والله الحارث بن معاوية، أخرجوا هذا الرجل عنكم، فما صاحبه بأهل للخلافة ولا يستحقها بوجه من الوجوه، وما المهاجرون والأنصار بأنظر لهذه الأمة من نبيها محمد صلى الله عليه وآله.

ثم وثب رجل من كندة يقال له عدي بن عوف فقال: يا قوم! لا تسمعوا قول عرفجة بن عبد الله ولا تطيعوا أمره، فإنه يدعوكم إلى الكفر ويصدكم عن الحقّ، أقبلوا من زياد بن لبيد ما يدعوكم إليه وارضوا بما رضى به المهاجرون والأنصار، فإنهم أنظر لأنفسهم منكم، قال: ثم أنشأ يقول في ذلك أبياتاً من جملتها:

يا قوم إني ناصح لا ترجعوا

في الكفر واتبعوا مقال الناصح

قال: فوثب إليه نفر من بني عمه فضربوه حتى أدموه وشتموه أقبح الشتم، ثم وثبوا إلى زياد بن لبيد فأخرجوه من ديارهم وهموا بقتله.

فجعل زياد لا يأتي قبيلة من قبائل كندة فيدعوهم إلى الطاعة إلا ردوا عليه ما يكره، فلما رأى ذلك سار إلى المدينة إلى أبي بكرفخبره بما كان من القوم وأعلمه أنّ قبائل كندة قد أزمعت على الارتداد والعصيان،

فاغتم أبو بكر لذلك غماً شديداً، فقال له بعض المسلمين: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله! هذا خالد بن الوليد مقيم بأرض اليمامة وقد تعلم أنه... فوجه به إليهم، فقال أبو بكر: إنّ خالداً كما وصفتم ولكن أميرهم الذي أخرجوه عنها هو أحقّ بحربهم من غيره، ثم جمع أبوبكر جيشاً ضمه إلى زياد بن لبيد وأمره بالمسير إلى القوم، فسار زياد من المدينة في أربعة آلاف من المهاجرين والأنصار يريد حضرموت...

الناقة!

وأنّ هناك سبباً قد يكون مؤثراً في نشوب الحرب بينهم، أو في زرع البغضاء بينهم، يتمثل بإصرار الوالي زياد بن لبيد على خطئه في موضوع الناقة وعناده... نادى (الوالي زياد بن لبيد) في أهل حضرموت فجمعهم ثم قال: أجمعوا صدقاتكم فإني أريد أن أوجه بها إلى أبي بكر الصديق؛ لأنّ الناس قد اجتمعوا عليه وقد أهلك الله أهل الردة وأمكن منهم المسلمين. قال: فجعل قوم يعطونه الزكاة وهم طائعون، وقوم يعطونه إياها كارهين، وزياد بن لبيد يجمع الصدقات ولا يريهم من نفسه إلا الصرامة، غير أنه أخذ يوماً من الأيام ناقة من إبل الصدقة فوسمها وسرحها مع الإبل التي يريد أن يوجه بها إلى أبي بكر، وكانت هذه الناقة لفتى من كندة يقال له زيد بن معاوية القشيري من بني قشير، فأقبل ذلك الفتى إلى رجل من سادات كندة يقال له حارثة بن سراقة فقال: يا ابن عم! إنّ زياد

بن لبيد قد أخذ ناقة لي فوسمها وجعلها مع إبل الصدقة وأنا مشغوف بها فإن رأيت أن تكلمه فيها فلعله أن يطلقها ويأخذ غيرها من إبلي فإني لست أمتنع عليه! قال: فأقبل حارثة بن سراقة إلى زياد بن لبيد وقال له: إن رأيت أن ترد ناقة هذا الفتى عليه وتأخذ غيرها فعلت منعماً! فقال له زياد بن لبيد: إنها قد دخلت في حقّ الله وقد وضع عليها ميسم الصدقة ولا أحب أن آخذ غيرها، فغضب حارثة بن سراقة من ذلك ثم قال: أطلقها وأنت كريم وإلا طلقتها وأنت لئيم.«في معجم البلدان (حضرموت): أطلقها أيها الرجل طائعاً قبل أن تطلقها وأنت كاره».

قال: فغضب زياد من ذلك، ثم قال:«في المعجم: لا والله لا أطلقها ولا نعمة عين».

أي: لا أطلقها حتى أنظر من يحول بيني وبينها أو يمنعها! قال: فتبسم حارثة بن سراقة ثم جعل يقول أبياتاً من جملتها:

يمنعها شيخ بخديه الشيب

يلمع كما يلمع الثوب.

قال: ثم أقبل حارثة بن سراقة إلى إبل الصدقة فأخرج الناقة بعينها، ثم قال لصاحبها: خذ ناقتك إليك فإن كلمك أحد فاحطم أنفه بالسيف!...

وهو ما ذكره المقريزي: «إنّ زيادة بن لبيد كان على صدقات بني معاوية، فوسم ناقة لرجل لم تكن عليه صدقة، فأتاه أخوه فقال: خذ

مكان الناقة جملاً، فلا صدقة على أخي، فرأى زياد أنه اعتلال واتهمه بالكفر، فقال: قد وُسِمَتْ ولا تُرد، فنادى صاحب الناقة أبا الرياض أقام الدليل من أكل في داره. فأتى حارثة بن سراقة فقال: أطلق بكرة الفتي وخذ بعيراً مكانها فأبى، فأطلق حارثة عقالها فأمر به زياد بن لبيد فأخذ، وكُتِّفَ هو وأصحابه فغضب بنو حارثة، وغضب السكون وحضرموت لزياد، وعسكر فوافاهم زياد، وخلى عن حارثة وأصحابه فلما رجعوا دمروهم، ثم خرج بنو عمرو بن معاوية خصوصاً إلى المحاجر، وهي أحماء حموها فنزل جمد ومخوص ومشرح وأبضعة والعمردة، والمحاجر ونزل الأشعث بن قيس الكندي محجراً، فارتدوا إلا شرحبيل بن السمط وابنه، فبيتهم زياد بن لبيد، فقتل مشرحاً ومخوصاً وجمداً وأبضعة والعمردة أختهم...[٤٣]

يظهر من هذا: أنّ هناك كلاماً يدور هنا وهناك بين القبائل حول شرعية خلافة أبي بكر. وهناك امتناع عن دفع الزكاة. كما أنّ لحديث الناقة دوراً في عناد الطرفين المتنازعين؛ طرف الوالي وأتباعه والآخر المعارض له.. وكلّ هذه الأسباب ليست ردّةً عن الدين، ولا تعدُّ مبرراً لاتهامهم بالارتداد، وإن لمسنا استعداداً لها عند بعضهم بسبب تصرفات الوالي زياد بن لبيد، ولا ننسى دخول المنافقين والمعادين للإسلام على

---

٤٣. أنظر كتاب الفتوح ١ : ٤٦ ـ ٤٧؛ والمقريزي، في الإمتاع ١٤ : ٢٥٤.

الخط أيضاً، وهذا يستدعي مزيداً من الحرص عليهم، والتفاهم معهم بالحكمة، واللجوء إلى الحيطة والحذر والدقة قبل درجهم تحت عنوان الردة وقبل شنِّ الحرب وقتل المئات وسبي غيرهم...

الثاني : من الأشخاص

مالك بن نويرة ، قتل مؤمناً أو مرتداً ؟!

فقد كان أبرز هؤلاء الذين قتلوا بسيف حروب الردة، والذي احتلت ظلامته مكانة واسعة في كتب التاريخ حتى يومنا هذا.

إنه مالك بن نويرة بن حمزة بن شدّاد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع التميمي اليربوعي، وكان يكنى أبا حنظلة، ويكنى أيضاً أبا المغوار. ويلقب بالجفول.[٤٤]

ومعنى الجفول من جَفَلَ يَجفِلُ جِفولاً: شرد ونفر ومضى وأسرع، وريحٌ جَفُول أي سريعة. فمالك كالريح الجفول وهي السريعة تجفل السحاب وتسوقه. والجفول من جفَل الشعرُ أي شعِث وانتصب. ومالك عرف بكثرة شعره وانتصابه.

والجفول من جفَل أي انزعج وفزِع، وجفَل فلاناً أي صرعه. ولعله سمي الجفول لجرأته وإقدامه.

---

٤٤. النص والاجتهاد، السيد شرف الدين : ١٣٦.

أما القول بأنه سمي بالجفول؛(لأنه جفل إبل الصدقة أي ذهب بها) لأَنَّهُ جَفَلَ إبلَ الصَّدَقَةِ وَمَنَعَ الزكَاةَ.

يبدو أنه خطأ؛ لأنه كان يلقب بالجفول قبل قضية الزكاة بل قبل إسلامه.

وجاء عنه في وفيات الأعيان: كان مالك بن نويرة المذكور رجلاً سرياً نبيلاً يردف الملوك، وللردافة موضعان أحدهما: أن يردفه الملك على دابته في صيد أو غيره من مواضع الأنس، والموضع الثاني أنبل، وهو أن يخلف الملك إذا قام عن مجلس الحكم فينظر بين الناس بعده. وهو الذي يضرب به المثل فيقال: مرعى ولا كالسعدان، وماء ولا كصداء، وفتى ولا كمالك. يضرب مثلاً للرجلين ذوى الفضل، إلا أن أحدهما أفضل، وهو مثل قولهم: «ماء ولا كصداء». والمثل لأكثم بن صيفي، ومالكٌ هو مالك بن نويرة.. أخبرنا أبو أحمد، عن أبى بكر، عن أبى عمر بن خلاد، عن محمد بن حرب قال: كان من أمر رياح بن ربيعة ذي ذراريح التميمي أنه أخذ عبداً يقال له المجر، وأمةً يقال لها الضبعاء، وإبلاً لابن أخٍ لأكثم بن صيفي، فبعث إليه مالك بن نويرة وهو ختن رياح على ابنته، فدفع إليه ما كان أخذ من ذلك، فبعث إليه أكثم المكفف بن المسيح، فلما توجه من عنده قيل له: انطلق فإنّ مالكاً يأتيكم بالإبل والعبد والأمة، فبلغ أكثم

ذلك فقال: «فتى ولا كمالكٍ»...[٤٥]

وكان فارساً جميلاً جسيماً ذا لمة كبيرة، شاعراً مطاعاً في قومه، وكان فيه خيلاء وتقدم، وكان ذا لمة كبيرة، وكان يقال له الجفول.

كما جاء عنه في كتب السير والطبقات والتاريخ ودواوين الشعر، وفي كلّ من دوّن ترجمةً له أنه كان من سادة بني يربوع من تميم، وأنه لم يكن شريفاً بل كان يمثل هامة الشرف في قومه بني تميم، وعرنين المجد في بني يربوع، وعدَّ من علية العرب، ومن فرسان بني يربوع في جاهليتهم وإسلامهم، وأنه فارس ذوالخمار، قيل له ذلك بفرس كان عنده يقال له: إنه ذو الخمار، وفيه يقول وقد أحمده في بعض وقائعه:

جزاني دوائي ذو الخمار وصنعتي

بما بات أطواء بني الأصاغر

وأما أخوه متمم بن نويرة فقد وصفه قائلاً:

ـ كان يركب الفرس الحرون، ويقود الجمل الثفال، وهو بين المزادتين النضوحتين في الليلة القرة، وعليه شملة فلوت، معتقلاً رمحاً خطياً فيسري ليلته ثم يصبح وجهه ضاحكاً، كأنه فلقة قمر رحمه الله ورضي عنه.

ـ وقال له عمر بن الخطاب يوماً: خبرنا عن أخيك.

---

٤٥. أنظر جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري.

قال: يا أمير المؤمنين، لقد أسرت مرة في حي من أحياء العرب، فأخبر أخي، فأقبل، فلما طلع على الحاضر ما كان أحد قاعداً إلا قام على رجليه، وما بقيت امرأة إلا وتطلعت من خلال البيوت، فما نزل عن جمله حتى لقوه بي برمتي فحلني هو!

فقال عمر: إنّ هذا لهو الشرف! وقال متمم أيضاً لعمر: أغار حي من أحياء العرب على حي أخي مالك وهو غائب فجاءه الصريخ، فخرج في آثارهم على جمل يسوقه مرةً ويركبه أخرى حتى أدركهم على مسيرة ثلاث وهم آمنون، فما هو إلا أن رأوه فأرسلوا ما في أيديهم من الأسرى والنعم وهربوا، فأدركهم أخي، فاستسلموا جميعاً حتى كتفهم وصدر بهم إلى بلاده مكتوفين!.. ومن كرمه وسخائه أنه كان يوقد ناره إلى الصبح، مخافة أن يأتيه ضعيف فلا يعرف مكانه..

فقال عمر: قد كنا نعلم سخاءه وشجاعته ولم نعلم كل ما تذكره...

فبهذه الصفات الجليلة احتلّ مكانة عالية في قومه. ومنزلة كريمة في أسرة ذات وجود اجتماعي معروف، ومن يحمل هكذا صفات، فإنه يكون موضع حسد قاتليه وحقدهم وبغضهم.[٤٦]

---

٤٦. وفيات الأعيان، لابن خلكان٦ : ١٧؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير ٤ : ٢٩٥؛ الإصابة في تمييز الصحابة، للعسقلاني؛ الاستيعاب ٣ : ١٣٦٢؛ طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي تحقيق محمود محمد شاكر ١ : ٢٠٤، رقم ٢٧٢؛ فتوح البلدان، للبلاذري؛ الأغاني،للأصفهاني؛ معجم الشعراء :٣٦٠١٥.

إسلامه:

رجل يحمل تلك الخصائص، فلا غرابة أنّ بإسلامه أسلم الكثيرون، فما إن قدم مع قومه بني تميم، فيمن قدم من أمثالهم من العرب على رسول الله صلى الله عليه وآله بعد فتح مكة سنة ٨ هجرية وبعد أن عاد صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة، وراحت وفود العرب تتوافد عليه من أنحاء الجزيرة العربية؛ لتعلن إسلامها بين يديه المباركتين، حتى حظي مالك بهذا الموقف الجليل فأعلن إسلامه، وبإسلامه هذا أسلم قومه بنو يربوع وبنوتميم، وولاه رسول الله صلى الله عليه وآله على صدقات قومه، كما بعثه على صدقات بني حنظلة ثقةً به واعتماداً عليه.[٤٧]

إتهامه بالارتداد:

إنَّ مالكاً هذا ـ بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ربّه تعالى ـ يعدُّ أول ضحية اتهم بأخطر شيءٍ يوجّه لمسلم وهي الردّة عن الإسلام دون دليل، إلا الامتناع عن دفع الزكاة مرةً، أوالتفريق بينها والصلاة أخرى، وكانت النتيجة أن أنزلت به عقوبة القتل صبراً في الخمسين من عمره بين مجموعة من قومه بني يربوع ممن ادينوا بالشيء نفسه وقتلوا معه وهم أسرى

٤٧. أنظر أسد الغابة، لابن الأثير ٤ : ٢٩٥؛ الإصابة، لابن حجر ٣ : ٣٣٦؛ طبقات فحول الشعراء ١ : ٢٠٤.

مكبلون، ثمَّ وضعت رؤوسهم أثافي تلتهمها النيران، ولم يكتف قائد جند الخلافة الراشدة بهذا كلّه، حتى نزا على زوجة مالك..!

وقع هذا في ديارهم ومنطقتهم المسماة بالبطاح (ماء في ديار بني أسد بن خزيمة، كما جاء في معجم البلدان، للحموي ١ : ٣٥٢).

ولا أدري أفي أي شريعة أو قانون يستباح قتل شخص ممتنع عن أداء زكاة أو ضريبة وتنتهك حرمته وعرضه؟! وهل تقع الردة بمجرد ذلك ممن ثبت إسلامه بالشهادتين، وبأدائه الصلاة بعد أن أذن وأقام لها أمام ملإٍ من الناس؟!

يقول الشيخ الأميني رحمه الله: «أيسلب امتناع الرجل المسلم عن أداء الزكاة حرمة الإسلام عن أهله وماله وذويه ويجعلهم أعدال أولئك الكفرة الفجرة الذين حقّ على النبيِّ الطاهر شن الغارة عليهم؟».

إنّ ما وقع لمالك ولغيره قد يكون من أجل تحقيق إرادة الحاكم، وتدعيماً لسلطته، وتجسيداً لمصلحته، وهذا ديدن الحكام الذين يستبيحون كلَّ شيءٍ، فلم يكن أبوبكر وهو يستلم الخلافة الأولى بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله بعيداً عن هذه السنّة، حين ارتأى أن يستغل مفهوم الردّة، ليشرعن قتاله لكل رافض لخلافته، معارض لها، متأنٍ في قبولها، ممن هم خارج المدينة المنورة، دون من هم داخلها، إما لأنه لا يريد أن يخلق اضطراباً وضعفاً في عاصمة الخلافة، وإما لأنه مطمئن من جانبهم أنهم لا يحملون سلاحاً ضدّه، أو لأنهم تحت نفوذه، فأرسل قواته لا فقط لقتال

المرتدين عن الإسلام من المتنبئين وأتباعهم، الذين انتهزوا هـذه المرحلـة بعد وفاة الرسولﷺ، بل لقتال أولئك أيضاً.. فغدت حروب الردة تحتـل مساحة واسعة من الجزيرة العربية، وكان خالد بن الوليد واحداً من أهـم قادة تلك الحروب، والتي كان منها حصاره للبطاح منزل بني يربـوع قـوم مالك بن نويرة، فما من خبر نقرأه في مصادر التاريخ عما فعله خالد، إلا ونجد قدراً مشتركاً فيها أنّ مالك بن نويرة قتله خالدُ بن الوليـد، أو قُتـل بأمر منه، وأنه دخل بامرأته أمّ تميم، وهي حقيقة مفزعة كشفتها صفحات التاريخ، وقد أرعبت الصحابة، وأقلقت الخليفة نفسه، ولكنه بدل أن ينزل بخالد العقاب على فعلته، راح يبحث له عن مخرج تحت عناوين متعددة..

هذه التي قَتَلَتْني!

لقد حدث هذا حين توجه خالد بعد عملياته القتالية، التي فرغ منها عند فزارة وأسد وطيء، يريد البطاح حيث مالك بن نويرة، وكأنه أدرجه مسبقاً في جدول أعماله، وإن لم يؤمر بذلك من قبل مركز الخلافة، ليحقق ما يصبو إليه وهو قتل مالك بأي حجّـة كـان، ليصـل إلى زوجتـه ابنـة المنهال، وقد قيل: إنه أعجب بأمّ تميم ابنة المنهال زوجة مالك حين كانـت وزوجها بين يديه في الأسر، ولكن الأرجح كما في الأخبار أنـه كـان لـه هوًى سابق بها؛

وفي ذلك يقول أبو نمير السعدي:

ألا قل لحيّ أوطأوا بالسنابك
تطاول هذا الليل من بعد مالك
قضى خالد بغياً عليه بعرسه
وكان له فيها هوى قبل ذلك
فأمضى هواه خالد غير عاطف
عنان الهوى عنها ولا متمالك
فأصبح ذا أهل وأصبح مالك
إلى غير أهل هالكاً في الهوالك

وهذا الشيخ ابن تيمية يعترف بأنّ خالداً كان له بها هوًى حيث يقول:

«وهكذا أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ ما زال يستعمل خالداً في حرب أهل الردة، وفي فتوح العراق والشام، وبدت منه هفوات كان له فيها تأويل، وقد ذكر له عنه أنه كان له فيها هوىً، فلم يعزله من أجلها بل عاتبه عليها؛ لرجحان المصلحة على المفسدة في بقائه.[٤٨]

وفعلاً أنّ مفردة (نزا على امرأته) التي أطلقها عمر حين قال لأبي بكر: «عدو الله عدا علىامرئ مسلم فقتله، ثمَّ نزا على امرأته..»

---

٤٨. أنظر الأغاني، للأصفهاني؛ تاريخ أبي الفداء(ت٧٣٢ هـ)؛ السياسة الشرعية، لابن تيمية ١ : ١٨.

كانت هي المناسبة لفعلة خالد، فمن المستبعد أن تبادله أمُّ تميم رغبته فتقبل بإرادتها الاقتران بقاتل زوجها، صاحب تلك الصفات النبيلة وسيد قومه، وقد رأته يُقتل مظلوماً ويُمثّل به، وكيف ترضى لنفسها هذا الفعل وهي في هذه المنزلة، وبين قومها؟! نعم لم تتزوج به، بل وثب عليها ودمُ زوجها لم يجف بعدُ، فأي شرف وكرامة لقائد جيش المسلمين هذا؟!

كيف يفسر مسيره إلى قتال مالك دون أن يتلقى بذلك أمراً من الخليفة، وهو ما جعل الأنصار في البداية يمتنعون عن رفقته إلى البطاح؟!

وبماذا يفسر إصرار خالد على قتل مالك ومن معه بعد أن ثبت إسلامهم، وأقرّوا به أمامه، وهو ما شهد به الصحابيان أبو قتادة الأنصاري وعبد الله بن عمر، فقد كانا حاضرين ذلك الحوار الذي دار بين الرجلين، وقبله، فأصحاب مالك قد أذنوا وأقاموا وصلوا، أي أنهم ذهبوا إلى أكثر مما طلبه الخليفة في رسائله التي يوصي بها الجند وأمرائهم:

«... وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كلّ مجمع لكم والداعية للأذان، فإذا أذّن المسلمون فأذنوا كفُوا عنهم، وإن لم يؤذّنوا فاسألوهم بما عليهم، فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقرّوا قبل منهم، وحملهم على ما ينبغي لهم»

«وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فاسألوهم عن الزكاة، فإن أقروا، فتقبلوا منهم وإن أبوا فقاتلوهم..»

«إِذَا نَزَلْتُمْ مَنْزلا فَأَذِّنوا وَأَقِيمُوا، فَإِنْ أَذَّنَ الْقَوْمُ وَأَقَامُوا فَكُفُّوا

عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَلا شَيْء، إلا الْغَارَةَ».

وفعلاً أذنوا وأقاموا وصلوا أيضاً. وَفِيهِمْ أبو قتادة. وكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بذلك، ومعه عبد الله بن عمر..

متخذاً مما جاء في وصية الخليفة أو بيانه لأمراء جنده المتمثل بـ: «اقتلوا وانهبوا» مبرراً لفعلته، متجاهلاً ومتجاوزاً الوصايا الأخرى..

ولما رأى مالك أنّ خالداً مصرّاً على قتله، حين لم يروا منه موقفاً ولم يسمعوا منه قولاً إلا «وَاللهِ لأَقْتُلَنَّكُمْ» هدفه القادم من أجله، طلب منه أن يرسله إلى الخليفة كما أرسل غيره ممن هم كان لهم مواقف أشدَّ من موقفه، جاء طلبه هذه بحضور كلّ من عبد الله بن عمر وأبي قتادة، وبعد أن كلّما خالداً في أمره، فكره كلامهما، فعرف مالك إصرار خالد على قتله، فقال له:

«يا خالد ابعثنا إلى أبي بكر، فيكون هو الذي يحكم فينا، فقد بعثت إليه غيرنا ممن جرمه أكبر من جرمنا».

فقال خالد: لا أقالني الله إن لم أقتلك، وتقدم إلى ضرار بن الأزور بضرب عنقه، فالتفت مالك إلى زوجته أمّ تميم وقال لخالد: هذه التي قتلتني.ـ قال ابن خلكان: وكانت في غاية الجمال، وقال هيكل: ليلى الجميلة التي فتنت خالداً ـ فقال خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام، فقال مالك: إني على الإسلام. فقال خالد: يا ضرار اضرب عنقه، فضرب عنقه وجعل رأسه أثفية لقدر..

ويقول العقاد: «.. وإنّ مالكاً كان أحق بإرساله إلى الخليفة من زعماء فزارة وغيرهم، الذين أرسلهم خالد بعد وقعة البزاخة،..».[٤٩]

وبقدر ما أكّد فيه مالك إسلامه بقوله: «إني على الإسلام» وعدم ارتداده بقوله:«إني والله ما ارتددت».[٥٠]

أكد خالد إصراره على قتله بقوله: «لا أقالني الله إن أقلتك» لا أقالني الله إن لم أقتلك وبإجابته لمالك وقومه: «وَاللهِ لأَقْتُلَنَّكُمْ»! حين كانوا يسألونه: «إنّا مُسْلِمُونَ فَعَلامَ تَضْربُ أعْنَاقَنَا»؟!

حتى وكأن مالك ـ بعد أن أسقط حجج خالد ـ اضطر أخيراً إلى أن يُبيّن الهدفَ الحقيقي من قتله وهو زوجته، وكأنه يعلم هوى خالد السابق بها، أو رأى نظرات خالد لها حين كان يحاوره، وإلا كيف يقول له: «..هذه التي قَتَلْتني.. أو قَتَلْتيني: أي سأقتل لأجلك».

وقول مالك هذا يؤكده العديد ممن ذكر هذه الواقعة.

فثابت بن قاسم روى في الدلائل، أنّ خالداً رأى امرأة مالك، وكانت فائقة الجمال، فقال مالك لامرأته: قتلتيني ـ يعني سأقتل من أجلك ـ..[٥١]

---

٤٩. عبقرية خالد : ١٣٤.

٥٠. البلاذري، في فتوح البلدان ١ : فصل مسيلمة الكذاب.

٥١. الإصابة، لابن حجر٣: ٣٣٧.

كابن الأثير وأبي الفداء وأيضاً الزمخشري والزبيدي، فقد ذكروا أنّ مالك بن نويرة رضي الله عنه، قال لامرأته يوم قتله خالد بن الوليد: أقتلتني..أي عرضتني بحسن وجهك للقتل لوجوب الدفع عنك، والمحاماة عليك، وكانت جميلة حسناء تزوجها خالد بعد قتله، فأنكر ذلك عبدالله بن عمر.

وقيل فيه:

أفي الحقّ أنا لم تجف دماؤنا

وهذا عروساً باليمامة خالد؟!

وحتى أنه لم يستمهل الأرملة الفاتنة أمّ تميم بنت المنهال لتستبرئ رحمها وتكمل عدتها، بل إنه امتطاها ودم زوجها لم يجف بعد كما عن اليعقوبي.[٥٢]

فخالد كان متابعاً لهواه السابق حتى سفك من أجله دماء مجموعة من المسلمين، ولم يبالِ بيوم سيطول وقوفه فيه؛ ليسأل عن أناس مسلمين لم يكن ذنبهم إلا أنهم إما كانوا متوقفين في قبول الخلافة، أو مترقبين ومنتظرين للذي ستؤول إليه الأوضاع المضطربة في المدينة وما حولها يومذاك.. وإذ بهم يفاجأون بجيش الخلافة يقوده خالد بن الوليد، لينفذ

---

٥٢. تاريخ ابن الأثير٣: ٢٥٧؛ أبي الفداء١: ١٥٨؛ الفائق٢ : ١٥٤؛ تاج العروس٨: ٧٥؛ الطبري، في تاريخه؛ أسد الغابة٤: ٢٩٥؛ تاريخ اليعقوبي٢: ١١٠ وغيرهم.

فقط ما يُلبي رغبته..

وهذا يعني أنّ خالداً لم يتعب نفسه فيفكر ولو قليلاً في معرفة موقفهم أو إسلامهم قبل أن يخوض في دمائهم، حين نراه وقد أغلق أبواب الحوار معهم وحتى مع الصحابيين أبي قتادة وعبد الله بن عمر وهما من جيش الخلافة؛ فهو قادم إليهم لا لشيءٍ إلا قتلهم لحاجة في نفسه، وما إن وصل حتى راح يوزع سراياه عند بني يربوع ليأتوه بمالك وزوجته ومن معه.

(ولكن لماذا زوجته؟!) فيستحي الزوجة لينزوا عليها في الليلة التي قتل فيها الجميع صبراً وهم مقيدون، غير مكترث بشرع ولا عرف!

وكأنّ خالداً رأى أنّ حرب الردة التي هو أحد قادتها، واتهام مالك بالارتداد، يعدُّ فرصته؛ ومن الطبيعي كي تثبت ردة الرجل أن يُقتل هو ومن كان معه من عمومته، الذين قبلوا الاستسلام لإخوانهم في الإسلام حتى يستوثقوا من أمرهم، وأتموا صلاتهم معهم، وفعلهم الايجابي هذا يغيضه أكثر، فعجّل بضرب عنقه وأعناق أصحابه..

حقًّا كان ما صدع به مالك في لحظات حياته الأخيرة، وقد جاءته زوجته أمُّ تميم كاشفةً وجهها حتى أكبت عليه ـ وكانت أجمل الناس ـ فقال لها: إليك عني فقد والله قتلتني..[٥٣] هذه التي قتلتني...!

---

٥٣. مختصر تاريخ دمشق ٨ : ١٨؛ ترجمة خالد.

ليكشف للتاريخ حقيقة هذا القادم إليهم وسوء سريرته وتفتاهته، وأنه لم يذق من دين الله الذي جاء رحمةً للعالمين شيئاً.

إنّ الأمور كلها لتؤكد أنّ خالداً كان يقصد هدفاً يُخفيه، فقتل مالك لأجله، وهو ما وضحته الأقوال تلك، والأخبار التي تكشف شبقه حتى قيل له وهو يخطب إلى مجاعة ابنته:.. تزوج النساء وحول أطنابك دماء ألف ومائتي رجل من المسلمين، فقال: زوجني لا أباً لك، فزوجه، فبلغ ذلك أبا بكر، فكتب إليه لعمري يا ابن أمّ خالد إنك لفارغ حين تتزوج النساء وحول حجرتك دماء المسلمين لم تجف بعد![٥٤]

ولا غرابة في هذا، فلطالما كان الجنس والهوى سبباً وهدفاً في كثير من الوقائع في التاريخ.

يقول الشيخ الأميني رحمه الله:

ما شأن أبناء السلف وقد غررت بهم سكرة الشبق، وغالتهم داعية الهوى، وجاؤوا لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمة وأولئك هم المعتدون؟

فترى هذا يقتل مثل مالك ويأتي بالطامات رغبة في نكاح أمّ تميم.

وهذا يقتل سيّد العترة أمير المؤمنين شهوة في زواج قطام.

وآخر، وهو ضرار بن الأزور زميل خالد بن الوليد وشاكلته في النزو على الحرائر. شنّ الغارة على حيٍّ من بني أسد، فأخذ امرأة جميلة

---

٥٤. أنظر المنتظم في تاريخ الأمم، لابن الجوزي، قصة أهل اليمامة: رقم ٦٠٠.

فوطئها بهبة من أصحابه، ثم ذكر ذلك لخالد فقال: قد طيبتها لـك. «كـأنّ تلكم الجنود كانت مجندة لوطي النساء وفض ناموس الحرائر» فكتب إلى عمر فأجاب برضخه بالحجارة. وهذا يزيد بن معاوية يـدس إلى زوجـة ريحانة رسول الله الحسن السبط الزكي السم النقيـع لتقتلـه ويتزوجهـا أو فعله معاوية لغاية...[٥٥]

وإلا في أيّ شريعة أو قانون أو عرف ـ باسـتثناء قـانون الغـاب ـ يستباح قتل وانتهاك حرمة شخص متردد أو ممتنع عن أداء مـا عليـه أو على قومه من زكاة، فترتكب بحقه وبعمومته جريمة قذرة كـالتي حصـلت لهذا الصحابي الجليل ومن معه من بني عمه وزوجته، ومـع هـذا يعنونهـا خليفة المسلمين: تأوّل فأخطأ!

ويصفها شيخ الإسلام ابن تيمية! هفوةً وتأويلاً، وكأنّ مبدأ التأويـل خاص بالقاتل دون المقتول وبالمجرم دون الضحية، أي عدل هـذا؟ أنّ مـا وقع من خالد من سفك دماء وانتـهاك حرمـات لـيس إلا هفـوات كمـا يسميها الشيخ ابن تيمية، ويندرج تحت قاعدة تـأوّل فأخطـأ، الـتي راح الخليفة يرددها ضدَّ كل من يستنكر فعل خالد ويطلـب منـه محاسـبته أو عزله عن قيادة جند الإسلام!

---

٥٥. أنظر الواقعة في كتاب الغدير للشيخ الأميني؛ ومصادر ما ذكره، ومنها تاريخ ابن عساكر٧: ٣١؛ خزانة الأدب٢ : ٨؛ الإصابة ٢: ٢٠٩، ٤: ٢٢٦.

«قال عمر لأبي بكر:إنّ خالداً قد زَنى فارجُمه!

قال: ما كنت أرجمه فإنه تأوّل فأخطأ!

قال عمر: فإنّه قتل مسلماً فاقتله!

قال: ما كنت أقتله فإنّه تأوّل فأخطأ!

هيه ياعمر! تأوّل فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد»![٥٦]

هذا وأنّ قول أبي بكر «تأوّل فأخطأ» يعدُّ اعترافاً ضمنيّاً منه بأنّ الصحابي مالكاً قتل مسلماً لا مرتداً! كما أنه دفع ديته من بيت المال، وردَّ سبي قومه وحرر أسراهم...

فيما مالك لم يرتكب كبيرة، فلم يزن ولم يقتل، فلماذا لا يندرج تحت تلك القاعدة فعله المتمثل بمنعه للزكاة أو التفريق بينها والصلاة! أليس هذا هو التطفيف والكيل بمكيالين؟! صحابيان أحدهما له أن يتأوّل وهو يقتل ويسفك الدماء ويزني، فيؤجر ويثاب على القتل والزنا، المخطئ والمرتكب للعظائم مأجور ومثاب بدل تفسيقه وعقابه! والآخر ليس له إلا أن يؤاخذ بأشد العذاب، ما لكم كيف تحكمون؟!

الصحابي المفترى عليه:

لقد غدا مالك بحقٍّ الصحابي المفترى عليه، والمنتهك عرضه على

---

٥٦. أنظر الواقعة في تاريخ أبي الفداءوغيره.

مسمع ومرآى من الخلافة الراشدة، ودون أن تكترث هي الأخرى بملف الواقعة المتضمن شهادة عدد من الصحابة واستنكار الشخص الثاني في سلطة الخلافة عمر بن الخطاب لما ارتكبه خالد بن الوليد من جرم واعتداء صارخ على هذا الصحابي وعلى عرضه.. وتركت هذه الواقعة الدموية صدًى عظيماً يومها، وفي تاريخنا الإسلامي، وما زالت تلك الحادثة موضع جدل بين مدافع عن مالك، ومتهم له رغم ظلامته الواضحة، بين معارض لخالد ومؤيد لفعلته القذرة.. ولم يُكتفَ بما وقع من ظلم لهذه المجموعة المفترى عليها؛ من اتهامٍ وإذلالٍ فقتلٍ وتمثيلٍ وانتهاكِ عرضٍ وسلبِ مالٍ...أن راح بعض المؤرخين يترك لسيف بن عمر وغيره من رواة السوء؛ ليدسوا ويشوّهوا ويفتروا على مالك مزاعمَ جمّة، تقديساً لسلطة الخلافة وتمجيداً لقائدٍ شهد بإدانته عدد من الصحابة، ممن حضر واقعة القتل الظالمة المروعة تلك، وممن سمع بها، وتحقق منها، وشهادتهم تكسب حجّيتها وقوّتها؛ لأنها عن حسٍّ لا حدس، عن دراية لا رواية، ولم يعرف عنهم أنهم كانوا شهود زورٍ، بل شهادة حقٍّ أدلوا بها بأمانة وصدق، يجب أن يُكتفى بها، أو على الأقل أن يقف طويلاً عندها كلُّ باحث عن الحقيقة. إنّ ما وجّه لمالك من اتهامات كوضع يده بيد سجاح التي ادعت النبوة، أو أنه تردد في دينه، وأنه من الذين أعلنوا الحرب ضدَّ الخليفة، وكان يفرّق بين الصلاة والزكاة، وغيرها ممن صنعته واختلقته يدُ الوضع والاختلاق، لا تقف ولا تصمد أمام ما ذكرته الروايات من دين

وخلق هذا الصحابي، ومن مواقفه وهو يجادل قاتليه، ويثبت لذابحيه ومشاهدي قتله والتمثيل به، أنه إنما كان مؤذّناً ومقيماً فمصليّاً.. لكنه كان متريثاً في إعلان موقفه من الخلافة، محتاطاً في دفع الزكاة لها، منتظراً الوقت المناسب أو استقرار الأمر إلى أين، فينجلي الموقف. وهو دليل عقل وحكمة بل ودين..

يقول السيد شرف الدين: فكان من الطبيعي لمثل مالك في عقله ونبله ومكانته في قومه أن يتربص ـ والحال هذه ـ في النزول على حكم من يظهر في المدينة ويقهر خصومه على الخلافة حتى يتبين له أنه إنما قهرهم بالحق وظهر عليهم باجتماعهم عليه بعد ذلك التنازع، وبهذا لا بسواه تريث مالك في دفع الزكاة باحثاً عمن تبرأ ذمته بدفعها إليه.

فكان عليهم أن يمهلوه مدة تسع البحث عن هذه الحقيقة الغامضة في تلك الأوقات ولا يعاجلوه بتلك النكبات فإنه لم يكن ممن أنكر الزكاة، ولا ممن فرق بينها وبين الصلاة، ولا ممن استحل قتال أبي بكر أو غيره من المسلمين. هذه هي الحقيقة في موقف مالك وأصحابه، يدل على ذلك نصحه لقومه في تثبيته إياهم على الإسلام وعدم المناوأة لخالد وأمره إياهم بالتفرق؛ لئلا يصطدموا بجيشه الناهد إلى بطاحهم ونهيه إياهم عن الاجتماع في مكان ما لئلا يظن أحد بأنهم معسكرون. نصَّ على ذلك كله ـ كما يذكر السيد شرف الدين في هامش الصفحة: ١١٩من كتابه «النص والاجتهاد» ـ الأستاذ هيكل في كتابه: «الصديق أبو بكر» فراجع منه ما

هو تحت عنوان مالك ينصح قومه : ١٤٤.

وقال الأستاذ العقاد في «عبقرية خالد»؛ حيث ذكر موقف مالك أنه ليس موقف عناد وتحفز لقتال...[٥٧]

والحقيقة يبدو أنها أبعد وأخطر من هذا، وهي أنّ رفض خلافة أبي بكر، أو التوقف ولو قليلاً في تأييدها، يعدُّ ارتداداً عن الدين وخروجاً من الملّة، وكأنها ضرورة من ضروريات الدين، وأنّ أمرها مبنيٌّ على الفور لا على التراخي، وأنّ الحلَّ معهم هو بوصفهم مرتدين وقتلهم وتصفيتهم بحرب تشنّ عليهم تحت هذا العنوان «حروب الردة». يعرف هذا بمراجعة ما هو المعتمد من كتب الرواية والحديث عند المسلمين فلا نجد تصريحاً بكفرهم أو ارتدادهم أو رجوعهم عن الإسلام.. والأنكى أنهم قُتلوا دون تدقيق في مواقفهم خاصةً وأنهم نُفذ الحكم بهم بمجرد تهمة الارتداد التي لا دليل عليها إلا افتراءآت صدرت من أفواه السوء خالد وإعلام السلطة ورواة الكذب والاختلاق..، والجميع يعلم أنّ المتهم بريءٌ حتى تثبت إدانته، والارتداد لا يصحُّ توجيهه لأي مسلم نطق بالشهادتين فضلاً عن تنفيذ حكم القتل به، إلا بعد استيثاق أكيد حتى يحصل القطع واليقين، وأن لا تكون هناك شبهة، فالحدود تدرأ بالشبهات، أو أثارة من علم عند المتهم يستدل بها على موقفه، يُناقش بها وفقاً

٥٧. عبقرية خالد، سطر ١٤، ص: ١٢١.

للدليل حتى يثبت له الصحيح.

إضافةً إلى هذا، فالاحتياط في الدماء أمر مهم وتجاوزه هو الآخر خطير جداً... والغريب أنّ ما ورد من أخبار بخصوص هذه الحوادث ليس فيها شيءٌ من هذه المقدمات، قبل انزال العقوبة. وزيادةً على ذلك فإنّ منع الزكاة شيءٌ وإنكارها شئٌ آخر: فالمستنتج من أخبار واقعة البطاح هو الامتناع عن أداء الزكاة، والمعروف أنّ منع الزكاة لا يعدُّ ارتداداً وكفراً في المفهوم الإسلامي كما يأتينا..

وما موقف مالك غير المهتم بسجاح ومن على شاكلتها من المتنبئين وأعداء الدين، بل والرافض لهم ولرغبتهم فيه وفي عمومته، والناصح لقومه في البقاء على دينهم الإسلام، وعدم المناوأة لخالد وجنده أي مناهضتهم بشدة في حرب أو خصومة، وأمره قومه بالتفرق حتى لا يحدث اجتماع قد يوحي باستعدادهم للاشتباك والقتال، وأن لا يكون هناك اصطدام بالجيش القادم إليهم، وتسليم نفسه ومن معه دون مقاومة، على خلاف عادة أي مقاتل عربي ما زال سلاحه بيده، دليل على حرصه أن لا يسفك قطرة دمٍّ مسلم، وتأكيده على إسلامه ومن معه...

كلُّ هذا وغيره، لم يشفع لهم عند خالد على حسن موقفهم وسلامته، كما لم تشفع هذه الحقائق عند الخليفة، بما فيها موقف وشهادة عدد من الصحابة ممن هو بعيد عن الجرح والاتهام في تلك الساحة ببقاء مالك وصحبه على إسلامهم، وبالتالي عدم صدق مفهوم الارتداد عليهم،

فيقتصّ لهم من قاتليهم.

لقد كانت كلمة مالك: «إني على الإسلام» آخر ما نطق بـه، وبهـذا ولعل هناك غيره يؤكد مالك سلامة عاقبته في أن يُقتل مسلماً، ويقابل ربَّه مظلوماً، فيفصل بينهم.. إذن لم يمت مالك مرتداً بل مسـلماً فيلاقـي ربَّـه مظلوماً.

«فحرمة قتله في غاية الصراحة والقطع، وكانت من الكبـائر الموبقـة الموجبة للقصاص الشرعي، لأنّ إسلام مالك مما لا ريب فيه لكل منصـف ألم بوقعة البطاح على حقيقتها وعرف السر في ثـورة عمـر، وأبى قتـادة، وأهل المدينة بكنهها، وقد كان آخر ما تكلم به مالك في حياته: «إني على الإسلام»، على أنّ الشيخين عمر وأبابكر اتفقا على موته مسـلماً، وذلـك أنّ عمر إذ قال للخليفة: إنّ خالداً قد زنى فارجمه. قال الخليفة: ما كنـت لأرجمه فإنه تأول فأخطأ. قال عمر: إنه قتل مسلماً فاقتله به، فلـم يقـل له: إنه قتل مرتداً، وإنما قال: ما كنت لأقتله به، فإنه تأول فأخطأ، وهـذا اعتراف منه بإسلام مالك، ولذلك وداه من بيت مـال المسـلمين، واعتـبر السبايا والأسرى من آله أحراراً فخلـى سـبيلهم، ولم يقـر خالـداً علـى سبيهم»...[٥٨]

يظهرهذا وغيره من قراءة الواقعة نفسها بنصوصـها الكـثيرة وهـي

٥٨. أنظر النص والاجتهاد، للسيد شرف الدين.

تسجل أقوال الضحايا وهم يدافعون عن سلامة تدينهم، في جدال وقع بين الفريقين: مالك ومن معه من قومه، وقائد الجند خالد بن الوليد قبل أن يأمر بضرب أعناقهم:

فتحت (خبر مالك بن نويرة ومسيلمةالكذاب) جاءت رواية الواقدي لتذكر التالي:... ثُمَّ ضَرَبَ خَالِدٌ عَسْكَرَهُ بأرْض بَني تَمِيمٍ، وَبَثَّ السَّرَايَا فِي الْبلادِ يُمْنَةً ويُسْرَةً، فَوَقَفَتْ سَرِيَّةٌ مِنْ تِلْكَ السَّرَايَا عَلَى مَالِكِ بْن نُوَيْرَةَ، وَإِذَا هُوَ فِي حَائِطٍ لَهُ، وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ بَني عَمِّهِ، فَلَمْ يعلم مالك إلا والخيل قَدْ أحْدَقَتْ بهِ، فَأخَذُوهُ أسِيراً، وأخَذُوا امْرَأَتَهُ مَعَهُ، وكَانَتْ بهَا مُسَيْحَةٌ مِنْ جَمَال، وَأخَذُوا كُلَّ مَا كَانَ مِنْ بَني عَمِّهِ، فَأتَوْا بهِمْ إلَى خَالِدِ بْن الْوليدِ حَتَّى أوْقَفُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأمَرَ خَالِدٌ بضَرْبِ أعْنَاق بَني عَمِّهِ بَدْيًا.

فَقَالَ الْقَوْمُ: «إنَّا مُسْلِمُونَ فَعَلامَ تَضْربُ أعْنَاقَنَا»؟!

قَالَ خَالِدٌ: «وَاللهِ لأَقْتُلَنَّكُمْ».

وهنا انبرى شيخ منهم، فَقَالَ لَهُ: «أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ أَبُو بَكْر أنْ تَقْتُلُوا مَنْ صَلَّى إلَى الْقِبْلَةِ»؟!

فَقَالَ خَالِدٌ: بَلَى قَدْ أمَرَنَا بذَلِكَ، ولَكِنَّكُمْ لَمْ تُصَلُّوا سَاعَةً قَطُّ.

وهنا شهد شاهد من أهلها؛ ممن كان في ضمن جيش الخلافة وقيادته؛ لتأكيد صحة ما عليه هؤلاء الضحايا من سلامة موقفهم الديني، ومن براءتهم من تهمة الردة، أو التآمر على الإسلام وأهله.. هذه هي

شهادة أبي قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري الخزرجي السلمي، صحابي من الأبطال الولاة، اشتهر بكنيته «أبو قتادة» وكان يقال له: «فارس رسول الله صلى الله عليه وآله»، وفي الحديث: «خير فرساننا أبو قتادة» شهد الوقائع مع النبي صلى الله عليه وآله ابتداءً من وقعة أحد، ولي مكة زمن علي بن أبي طالب عليه السلام، وشهد صفين مع علي عليه السلام، ومات بالمدينة سنة ٥٤ هـ.[٥٩]

يقول الخبر: فَوَثَبَ أبوقَتَادَةَ إِلَى خَالِدِ بْن الْوليدِ، وَقَالَ: إني أشْهَدُ أنَّهُ لا سَبيلَ لَكَ عَلَيْهِمْ.

قَالَ خَالِدٌ: وكَيْفَ ذَلِك؟!

قَالَ: لأَني كُنْتُ فِي السَّرِيَّةِ،الَّتي قَدْ وَافَتْهُمْ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْنَا قَالُوا: مَنْ أَنْتُمْ؟!

قُلْنَا: نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ.

فَقَالُوا: وَنَحْنُ الْمُسْلِمُونَ.

ثُمَّ أذنَّا وَصَلَّيْنَا وَصَلَّوْا مَعَنَا.

فَقَالَ خَالِدٌ: صَدَقْتَ يَا قَتَادَةُ (يا أبا قتادة) إنْ كَانُوا قَدْ صَلَّوْا مَعَكُمْ، فَقَدْ مَنَعُوا الزكَاةَ الَّتِي تَجبُ عَلَيْهِمْ، وَلا بُدَّ مِنْ قَتْلِهِمْ.

فَرَفَعَ شَيْخٌ مِنْهُمْ صَوْتَهُ يَقُولُ (مِنَ الْكَامِلِ):

---

٥٩. أنظر ترجمته في الإصابة٧: ٣٢٧ ـ ٣٢٩؛ الاستيعاب١٧٣١:٤ـ١٧٣٢؛ تهذيب التهذيب١٢ :٢٠٤ ـ ٢٠٥؛ الأعلام ٢ : ١٥٤.

يَا مَعْشَرَ الأَشْهَادِ إنَّ أَمِيركُمْ
اَمَرَ الْغَدَاةَ ببَعْض مَا لَمْ يُؤْمَر
حَرُمَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُنَا بصَلاتِنَا
اللهُ يَعْلَمُ أننَا لَمْ نَكْفُر
إنْ تَقْتُلُونَا تَقْتُلُوا إخْوَانَكُمْ
وَالرَّاقِصَاتِ إلَى منى والمشفر
يا ابن الْمُغِيرَةِ إنَّ فِينَا خُطَّةً
شَنْعَاءَ فَاحِشَةً فَخُذْهَا أوْ ذَر.

فَلَمْ يَلْتَفِتْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إلَى مَقَالَةِ الشَّيْخ، فَقَدَّمَهُمْ وَضَرَبَ أعْنَاقَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ.

وكَانَ قَتَادَةُ(أبو قتادة) قَدْ عَاهَدَ اللهَ أنْ لا يَشْهَدَ مَعَ خَالِدٍ مَشْهَدًا أبَدًا بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْم.

ثُمَّ قَدَّمَ خَالِدُ مَالِكَ بْنَ نُوَيْرَةَ لِيَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ مَالِكٌ: «أتَقْتُلُني وَأنَا مُسْلِمٌ أصَلِّي الْقِبْلَةَ».

فَقَالَ لَهُ خَالِدُ: لَوْ كُنْتَ مُسْلِمًا لَمَا مَنَعْتَ الزكَاةَ ولا أمَرْتَ قَوْمَكَ بِمَنْعِهَا.

والله لَمَا قِلْتَ بما فِي مَنَامِكَ حَتَّى أقْتُلَكَ.

فَالْتَفَتَ مَالِكُ بْنُ نُوَيْرَةَ إلَى امْرَأتِهِ فَنَظَرَ إلَيْهَا ثُمَّ قَالَ: «يَا خَالِدُ، بهذَا تَقْتُلُني»؟!

فَقَالَ خَالِدٌ: بَلْ لله أَقْتُلُكَ برُجُوعِكَ عَنْ دين الإسلام، وجفلك لإبل الصدقة، وَأَمْرِكَ لِقَوْمِكَ بحبْسِ مَا يَجبُ عَلَيْهِمْ مِنْ زكَاةِ أَمْوَالِهِمْ. ثُمَّ قَدَّمَهُ خَالِدٌ فَضَرَبَ عُنُقَهُ صَبْراً.

فَيُقَالُ إنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ تَزَوَّجَ بامْرَأَةِ مَالِكٍ، وَدَخَلَ بها، وَعَلَى ذَلِكَ أَجْمَعَ أَهْلَ الْعِلْم، وقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ حَوِيُّ بْنُ سَعِيدِ بْنِ زُهْرَةَ السَّعْدِيُّ حَيْثُ يَقُولُ(مِنَ الطَّويل):

ألا قُلْ لِحَيٍّ أَوْطِئُوا بالسَّنابك ¤ تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ مِنْ بَعْدِ مَالِكِ

عَدَا خَالِدٌ بَغْيًا عَلَيْهِ لِعُرْسِهِ ¤ وكَانَ لَهُ فِيهَا هوى قبل ذلك

وَأَمْضَى هَوَاهُ خَالِدٌ غَيْرُ عَاطِفٍ ¤ عِنَانَ الْهَوَى عَنْهَا وَلا مُتَمَالِكِ

فَأَصْبَحَ ذَا أَهْلٍ وَأَصْبَحَ مَالِكٌ ¤ عَلَى غَيْرِشَيْءٍ هَالِكًا فِي الْهَوَالِك

فَمَنْ لِلْيَتَامَى عَائِلٌ بَعْد مَالِكٍ ¤ وَمَنْ لِلرِّجَالِ الْمُرْمِلِينَ الصَّعَالِكِ

أَصِيبَتْ تَمِيمٌ غَثُّهَا وَسَمِينُهَا ¤ بِفَارِسِهَا الْمَرْجُوِّ تَحْتَ الْحَوَالِكِ

هَذَا مَا كَانَ (مِنْ أَمْرِ) هَؤُلاءِ. قَالَ: وأَقَامَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بالْبُطَاح مِنْ أَرْض بَنِي تَمِيمٍ بَعْدَ قَتْلِ مَالِكِ بْن نُوَيْرَةَ لِيَنْظُرَ أَمْرَ أَبي بَكْر...

وأما الطبري فقد أوردها في تاريخه وفيها عن سيف بن عمر التميمي، أنّ خالداً جاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع... فاختلفت السرية فيهم، وفيهم أبو قتادة، فكان فيمن شهد أنهم قد أذّنوا وأقاموا وصلّوا. فلما اختلفوا فيهم أمر بهم فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء، وجعلت تزداد برداً، فأمر خالد مناديا فنادى:

«ادفئوا أسراكم» وكانت في لغة كنانة إذا قالوا: دثروا الرجل فادفئوا، دِفئُه، وفي لغة غيرهم: أدفِه فاقتله، فظنَّ القوم ـ وهي في لغتهم القتل ـ أنه أراد القتل، فقتلوهم، فقتل ضرار بن الأزور مالكاً، وسمع خالد الواعية، فخرج وقد فرغوا منهم فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه، وقد اختلف القوم فيهم، فقال أبو قتادة: هذا عملُك، فزبره خالد فغضب ومضى...

وأوردها الطبري أيضاً في تاريخه، عن ابن إسحاق، ومنها قوله: «... كان ممَّن شهد لمالك بالإسلام أبوقتادة الحارث بن ربعي أخو بني سلمة، وقد كان عاهد الله ألا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها، وكان يحدّث أنهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل، فأخذ القوم السلاح قال: فقلنا: إنا مسلمون، فقالوا: ونحن المسلمون، قُلنا: فما السلاح معكم! قالوا لنا: فما بال السلاح معكم؟

قلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح، قال: فوضعوها؛ ثم صلينا وصلَّوا.

وكان خالد يعتذر في قتله أنه قال له وهو يراجعه: ما إخال صاحبكم إلا وقد كان يقول كذا وكذا. قال: أو ما تعدَّه لك صاحباً! ثم قدمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه...

وهذا أبو الفداء في تاريخه قال: منعت بنو يربوع الزكاة، وكان كبيرهم مالك بن نويرة، وكان ملكاً فارساً مطاعاً شاعراً، قدم على النبي صلى الله عليه وآله فولاه صدقة قومه، فلما منع الزكاة أرسل أبو بكر إلى مالك

المذكور خالد بن الوليد في معنى الزكاة، فقال: أنا آتي بالصلاة دون الزكاة، فقال خالد: أما علمت أنّ الصلاة والزكاة معاً، لا تقبل واحدة دون الأخرى؟ فقال مالك: قد كان صاحبكم يقول ذلك. قال خالد: أوماتراه لك صاحباً؟ والله لقد هممت أن أضرب عنقك، ثم تجاولا في الكلام فقال له خالد: إني قاتلك.

فقال له: أو بذلك أمرك صاحبك؟ قال: وهذه بعد تلك، وكان عبدالله بن عمر وأبو قتادة الأنصاري حاضرين، فكلّما خالداً في أمره، فكره كلامهما. فقال مالك: يا خالد، ابعثني إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا. فقال خالد: لا أقالني الله إن أقلتك، وتقدم ضرار بن الأزور بضرب عنقه، وقبض خالد امرأته، وقيل: إنه اشتراها من الفيء وتزوج بها؛ وقيل: إنها اعتدت بثلاث حيض وتزوج بها، وقال لابن عمر ولأبي قتادة: احضرا النكاح، فأبيا، وقال له ابن عمر: نكتب إلى أبي بكر ونعلمه بأمرها وتتزوج بها، فأبى وتزوجها.[٦٠]

الامتناع عن الزكاة:

زيادةً على ما ذكرناه من كلام الشيخ آل ياسين، ولتأكيد هذه

---

٦٠. أنظر كتاب الردة، للواقدي؛ تاريخ الطبري٣ : ٢٧٢؛ البداية والنهاية، لابن كثير٦ : ٣٢٢؛ الكامل في التاريخ، لابن الأثير٢ : ١٦٥؛ الأغاني١٥: ٢٩٨ــ٣١٤؛ طبقات الشعراء١ : ٢٠٥ـ ٢٠٩.

الحقيقة، وتوضيح أنها كانت امتناعاً وليست إنكاراً، راح الشيخ يورد نصوصاً أخرى مستلّةً من روايات الطبري وأقاصيصه حول من سمّاهم المرتدين، نذكرمنها:

إنّ قرة بن هبيرة من زعماء بني عامر قال لعمرو بن العاص: إنّ العرب لا تطيب لكم نفساً بالأتاوة، فإن أنتم أعفيتموها من أخذ أموالها فستسمع لكم وتطيع، وإن أبيتم فلا أرى أن تجتمع عليكم، فقال عمرو: أكفرت يا قرة؟!

وأنّ قيس بن عاصم وهو أحد عمال النبيّ صلى الله عليه وآله على صدقات بني تميم قسم الصدقات، التي اجتمعت إليه في المقاعس والبطون. وهناك نصوص غيرها تدل على الامتناع لا الإنكار..

وأخيراً، فإننا ـ والكلام للشيخ ـ بعد التدقيق في كلّ نصوص الطبري المعنية بأخبار الردة لم نجد أي نصٍّ صريح يدل على إنكار تشريع الزكاة من قبل هؤلاء المتهمين؛ كي يكون ارتداداً بالمفهوم الإسلامي للارتداد. كما أننا لم نجد أي مبرر ديني لاعتبار مانع الزكاة مرتداً، بل إنّ الإمام أبا حنيفة قد ذهب إلى أنّ وجوب الزكاة غير فوري بل هي على التراخي، فيجوز التأخير... ثم قال: لو مات قبل أدائها تسقط عنه.[٦١]

---

٦١. المنحول، للغزالي : ٥٠١.

آقا کمال طرحی گویا یا عکس یا نقشه قدیمی مدینه
مقاله در باره ارتداد در صدر اسلام است.

ولذلك فإننا لا نرى وجهاً لما عبرت عنه السلطة يومذاك من اعتبار كل فرد من هؤلاء مرتداً وراجعاً عن الإسلام كما في الطبري.[٦٢]

ولقد أصاب الشيخ علي عبد الرازق في كتابه: «الإسلام وأصول الحكم» كبد الحقيقة حين قال عن هؤلاء المسلمين الذين سُموا في لغة التاريخ بالمرتدين: إنهم رفضوا الإذعان لحكومة أبي بكر، كما رفض غيرهم من جلّة المسلمين، فكان بديهياً أن يمنعوا الزكاة عنه؛ لأنهم لا يعترفون به ولا يخضعون لسلطانه وحكومته.[٦٣] وهذا هو الحقّ الذي ليس من حقّ غيره.[٦٤]

فمن هذه النصوص وهناك غيرها، يستطيع كل باحث منصف أمين أن يضع يديه على العديد من النقاط، فتدله على حقيقة ما جرى لينتصف للمظلوم من ظالمه، فقد ظهرت مما قرأناه مواقف تثبت إسلامهم وتنفي ارتدادهم، منها بايجاز:

موقف مالك:

«أتَقْتُلُني وأنَا مُسْلِمٌ أصَلِّي الْقِبْلَةَ».

---

٦٢. تاريخ الطبري٣ : ٢٥١.

٦٣. الإسلام وأصول الحكم: ١٩٤.

٦٤. أنظر كتاب نصوص الردّة في تاريخ الطبري للشيخ محمد حسن آل ياسين، بتصرف.

موقف أولئك الذين أكدوا إسلامهم لأبي قتادة وهو أحد القادة بقولهم:

«ونَحْنُ الْمُسْلِمُونَ».

موقف ذاك الشيخ الذي كان أحد الضحايا، وقد تجسد شعراً ذكرناه وكان منه:

حَرُمَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُنا بصَلاتِنَا ۞ الله يَعْلَمُ أنَّنَا لَمْ نَكْفُر.

موقف الصحابي أبي قتادة:

وهو قائد في جيش الخلافة، وأول من اتصل بمالك وعمومته، ولم يرَ منهم ردّةً ولا تمرداً، وكان ممن شهد لمالك بالإسلام، ولما رأى أنّ خالداً لم يلتزم بشهادته، عاهد الله ألا يشهد معه حرباً أبداً.. ولما عرف أنه لا يلتفت لمناشدته ونهيه عن قتلهم، ركب إلى الخليفة، فأخبره الخبر وقال: ترك قولي وأخذ بشهادة الأعراب الذين فتنتهم الغنائم، فقال عمر: إنّ في سيف خالد رهقاً وإن يكن هذا حقاً فعليك أن تقيده، فسكت عنه أبو بكر...[٦٥]

وكذا كان موقف عبد الله بن عمر، فكلاهما كلّما خالداً في أمر مالك وقومه، فكره كلامهما، كما أنّ ابن عمر طلب من خالد قبل أن يدخل

---

٦٥. أنظر مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور٨ : ١٨.

بامرأة مالك أن نكتب إلى أبي بكر ونعلمه بأمرها وتتزوج بها، فأبى وتزوج بها.. وكانت العرب تكره النساء في الحرب وتعايره!

فلم يلتفت خالد إلى كلِّ هذه المواقف والدعوات، ومنها أن يرسلهم إلى الخليفة، فقدمهم وضرب أعناقهم عن آخرهم، وهم يستغيثون ويصطرخون: «إنَّا مُسْلِمُونَ فَعَلامَ تَضْربُ أعْنَاقَنَا»؟! فيجيبهم خَالِدٌ: «واللهِ لأَقْتُلَنَّكُمْ»!

موقف عمر:

وإضافةً إلى هذه المواقف والشهادات في هذه القضية، ظهر موقف آخر للشخص الثاني في سلطة الخلافة الأولى وهو عمر بن الخطاب، وكان هو الأشدَّ والأقوى؛ مستنداً فيه على موقف وشهادة كلّ من أبي قتادة، ومتمم بن نويرة، اللذين كان لهما الدور في إدامة ثورة عمر وبقائها.. فما إن بلغه فعل خالد بقتله مالك وبني عمومته وتجاوزه على زوجته، حتى اتسم موقفه بالجدية والشدة من خالد وفعلته، فشكاه إلى الخليفة أبي بكر وتكلم فيه عنده، وسمّاه عدوّ الله، فقد قال للخليفة:

«عدو الله عدا على امرئ مسلم فقتله، ثمَّ نزا على امرأته..».

وما إن أقبل خالد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قَباءٌ عليه صدأ الحديد، معتجر بعمامة له،وقد غرز في عمامته أسهماً، فلما أن دخل المسجد، قام عمر، فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها، ثم قال: «أرئاء!

قتلت امرأً مسلماً، ثمَّ نزوت على امرأته، والله لأرجمنك بأحجارك..».

ولا يكلمه خالد بن الوليد، ولا يظن إلا أن رأى أبي بكر على مثل رأي عمر فيه.. حتى دخل على أبي بكر، وتجاوز عنه ما كان في حربه تلك... ولأن المسألة في واقعها امتناع عن دفع الزكاة وليس إنكاراً للوجوب، فقد أنكر الخليفة عمر بن الخطاب حرب هؤلاء الممتنعين، ولم يجد في هذه الحرب ما يبررها قرآنياً وما يصححها سنةً وسيرةً..

وهل تراجع عمر؟

وإن عاد عمر ـ بعد أن كان معترضاً على أصل هذه الحرب ـ وتراجع عن موقف الإنكار هذا وأقرَّ بمشروعية ما شنته الخلافة من حروب، حدث منه هذا الموقف وفقاً لما روى البخاري والترمذي بسنديهما أنهما قالا:

قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، ومن قال: لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقّه، وحسابه على الله»؟

قال أبو بكر: والله لأُقاتلن من فرّق بين الزكاة والصلاة، وأنّ الزكاة حقّ المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لقاتلتهم على منعه.

فقال عمر بن الخطاب: فوالله ما هو إلا أن رأيت أنّ الله قد شرح

صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحقّ.

لكن هذا لا يعني أنه تراجع عن موقفه من مسألة تجريم خالد على ما فعله من قتل مالك بن نويرة ونزوه على امرأته..؛ لأنّ ما تأكد منه عمر هو براءة مالك مما اتهم به، وأنّ خالداً قتل مسلماً ونزا على زوجته، وهذا الأمر يختلف عن موضوع قتال الممتنعين عن الزكاة، ولهذا بقي إصرار عمر على عزل خالد، وما إن استلم الخلافة بعد وفاة أبي بكر حتى عزله فعلاً عن قيادة الجيش، في أول قرار له..

نعم، قد يكون موقف عمر هذا من خالد له أسباب أخرى غير ما ارتكبه خالد من جرم بحق مالك وزوجته وبني عمومته، ولكنني لم أجد فيما تيسر لي غير ما ذكر.. اللهم إلا خبر عن الشعبي يبين فيه سبب العداء بين عمر وخالد: اصطرع عمر بن الخطاب، وخالد بن الوليد، وهما غلامان، وكان خالد ابن خال عمر، فكسر خالد ساق عمر، فعولجت وجبرت، وكان ذلك سبب العداوة بينهما.[٦٦]

وقد يريد بعضٌ من ذكر هذا الخبر إن صحَّ أن يتوكأ عليه للدفاع عن خالد، وأنّ ثورة عمر لم تكن بسبب قتل مالك، وإنما بسبب عداء قديم بينهما. وقد تغافل هذا الفريق عن أنّ الجريمة التي ارتكبها خالد بحق مالك أربكت وأرعبت الجميع بما فيهم الخليفة الأول نفسه، الذي ما إن

٦٦. مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور٨ : ٢٢.

أخبره أبو قتادة بقتل مالك وأصحابه حتى جزع جزعاً شديداً، فكتب إلى خالد بن الوليد، فقدم عليه. ولكن الخليفة لم يعمل شيئاً لخالد، وراح يبحث له عن عنوان يستر به جرمه قائلاً: هل يزيد على أنه يكون تأوّل فأخطأ، وردَّ خالداً وودَى مالك بن نويرة، وردَّ السبيَ والمال...[٦٧]

وهذا هيكل:

في كتابه «الصديق أبو بكر» يقول: إنّ أبا قتادة الأنصاري يغضب لفعلة خالد إذ قتل مالكاً وتزوج امرأته فتركه منصرفاً إلى المدينة مقسماً أن لا يكون أبداً في لواء عليه خالد، وإنّ متمم بن نويرة أخا مالك ذهب معه، فلما بلغا المدينة ذهب أبو قتادة ولا يزال الغضب آخذاً منه مأخذه، فلقي أبا بكر فقصّ عليه أمر خالد، وقتله مالكاً وزواجه من ليلى، وأضاف أنه أقسم أن لا يكون أبداً في لواء عليه خالد.

لكن أبا بكر كان معجباً بخالد وانتصاراته، ولم يعجبه أبو قتادة، بل أنكر منه أن يقول في سيف الإسلام ما يقوله! قال هيكل: أترى الأنصاري ـ يعني أبا قتادة ـ هاله غضب الخليفة فأسكته.

كلا فقد كانت ثورته على خالد عنيفة كل العنف لذلك ذهب إلى عمر بن الخطاب فقصّ عليه القصة، وصور له خالداً في صورة الرجل

---

٦٧. مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور٨ : ١٨، بتصرف بسيط.

الذي يغلب هواه على واجبه، ويستهين بأمر الله ارضاء لنفسه.

وأقره عمر على رأيه وشاركه في الطعن على خالد والنيل منه، وذهب عمر إلى أبي بكر وقد أثارته فعلة خالد أيما ثورة، وطلب إليه أن يعزله، وقال: إنّ في سيف خالد رهقاً (الرهق: السفه والخفة وركوب الشرّ والظلم وغشيان المحارم) وحق عليه أن يقيده، ولم يكن أبو بكر يقيد من عماله، لذلك قال حين ألحّ عمر عليه غير مرة: هبه يا عمر، تأول فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد. ولم يكتف عمر بهذا الجواب، ولم يكف عن المطالبة بتنفيذ رأيه، فلما ضاق أبو بكر ذرعاً بإلحاح عمر، قال: لا يا عمر ما كنت لأشيم سيفاً سله الله على الكافرين.

لكن عمر كان يرى صنيع خالدٍ نكراً فلم تطب نفسه ولم يسترح ضميره.

.. لابد أن يعيد القول على أبي بكر، وأن يذكر له في صراحة أنّ عدو الله عدا على امرئ مسلم فقتله ونزا على امرأته، فليس من الإنصاف في شيء أن لا يؤاخذ بصنيعه. ولم يسع أبا بكر إزاء ثورة عمر إلا أن يستقدم خالداً ليسأله ما صنع.

وأقبل خالد من الميدان إلى المدينة، ودخل المسجد في عدّة الحرب مرتدياً قباءً له، صدأ الحديد، وقد غرز في عمامته أسهماً، وقام إليه عمر إذ رآه يخطو في المسجد، فنزع الأسهم من رأسه وحطمها وهو يقول: قتلت امرؤاً مسلماً ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمنك بالأحجار.

وأمسك خالد فلم يعتذر ودخل على أبي بكر، فقصّ عليه قصة مالك وتردده، وجعل يلتمس المعاذير فعذره أبوبكر وتجاوز عما كان منه في الحرب، لكنه عنفه على الزواج من امرأة لم يجف دم زوجها، وكانت العرب تكره النساء في الحرب وترى الاتصال بهن عاراً أيّ عار.

وهنا يقول السيد شرف الدين: والإسلام يحرم نكاح المتوفي عنها زوجها حتى تعتد فإن نكحت وبنى بها الناكح وهي في العدة حرمت عليه مؤبّداً، ولو فرضنا أنّ خالداً اعتبرها سبية، فالسبية لا يحل وطؤها إلا بعد الاستبراء الشرعي، ولا استبراء هنا وإنما قتل زوجها ووطئها في تلك الحال.

ثم يواصل هيكل قوله: على أنّ عمر لم يتزحزح عن رأيه فيما صنع خالد، فلما توفي أبو بكر وبويع عمر خليفة له، كان أول ما صنع أن أرسل إلى الشام ينعي أبا بكر، وبعث مع البريد الذي حمل النعي رسالة يعزل بها خالداً عن إمارة الجيش. إجماع المؤرخين منعقد على أنّ عمر بقي متأثراً برأيه في موقف خالد من مقتل مالك بن نويرة وزواجه امرأته، وأنّ هذا الرأي له أثره من بعد في عزل خالد.

حزن أخيه ورثاؤه:

متمم بن نويرة، ويكنى أبا نهشل، وأبارهم، أو أبا إبراهيم، وكان له ابنان إبراهيم وداود، عرفا بأنهما شاعران خطيبان.. ومتمم هذا أسرته

قبيلةُ تغلب في الجاهلية، فبلغ ذلك أخاه مالكاً، فجاء ليفديه، فلما رآه القوم أعجبهم جمالُه وحديثُه، فأطلقوه له بدون فداء.. كان قصيرالقامة أعور دميماً، عرف بأنه كثير الانقطاع في بيته، قليل التصرف في أمر نفسه، اكتفاءً بأخيه مالك، وكان شاعراً مجيداً مشهوراً مخضرماً بمعنى أنه أدرك الجاهلية والإسلام، ولما أسلم حسن إسلامه وعدّ من الصحابة..

عرف هذا الرجل بحزنه العميق ووجده على أخيه مالك منذ أن بلغه مقتله، فقد قيل له: ما بلغ من حزنك على أخيك؟!

فقال: أصبت بعيني، فما قطرت منها قطرة عشرين سنة، فلما قتل أخي استهلت.

وفيما روي أنه دخل على عمربن الخطاب، فما كان من عمر إلا أن سأله قائلاً: ما بلغ وجدك على أخيك مالك؟! قال: بكيته حولاً حتى أسعدت عيني الذاهبة عيني الصحيحة، وما رأيت ناراً إلا كدت أنقطع لها أسفاً عليه؛ لأنه كان يوقد ناره إلى الصبح، مخافة أن يأتيه ضعيف فلا يعرف مكانه...[٦٨]

لقد كثرت مراثيه في أخيه مالك، ولم تنتهِ حتى وفاته سنة ٣٠ هـ..، وعُدّت من أجمل المراثي؛ ولهذا تصدر متمم طبقة أصحاب المراثي من كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ) حيث

---

٦٨. أنظر فتوح البلدان، للبلاذري ١ : فصل مسيلمة الكذاب، بتصرف بسيط.

يقول:

«والمقدم عندنا متمم بن نويرة، ويكنى أبا نهشل، رثى أخاه مالك بن نويرة...» وأجمل ما فيها أنها كانت تحكي خلال مالك وصفاته، وتكشف ظلامته وترسم براءته مما اتهم به، وأنه لم يمت إلا مسلماً.. وهكذا ظلَّ وفيّاً لأخيه، حزيناً عليه، لم ينس ذكراه، حتى أنّ زوجته لم ترضَعنه شدَّة حزنه على أخيه وقلةَ حفله بها، فكانت تخاصمه وتؤذيه فطلقها.. وقد بدأ وجده حين بادر إلى الحضور في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وصلَى الصبح بإمامة الخليفة أبي بكر، فلما فرغ من صلاته، واستند في محرابه، قام فوقف بحذائه، واتكأ على سية قوسه، ثم أنشد:

نعم القتيل إذا الرياح تناوحت

خلف البيوت قتلت يا ابن الأزور

أدعوته بالله ثم غدرته

لو هو دعاك بذمة لم يغدر

وأومأ إلى أبي بكر؛ وقد أجهش بالبكاء!

فقال: والله ما دعوته ولا غدرته!

ولنعم حشو الدرع كان وحاسراً ✿ ولنعم مأوى الطارق المتنور

لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه ✿ حلو شمائله عفيف المئزر

ثم بكى وانحط على سية قوسه، فما زال يبكي حتى دمعت عينه العوراء.

ولطالما شوهد هذا الصحابي وكأنه يتمتم مع نفسه بكلمات، يبدو أنها تحمل تعجبه من الغدر الذي أصيب به أخوه مالك، وراحت هذه المفردة تظهر على لسانه حين كان الزبير وطلحة يسيران فعرض لهما، فوقف ليمضي، فوقف، فتعجّلا، فتعجّل.

فقال: ما أثقلكما! ثمَّ قال: هباني أغدر الناس! أأغدر بأصحاب محمد صلى الله عليه وآله؟!

هباني خفت الضلال فأحببت أن اهتدي بكما! هباني خفت الوحشة فأردت أن استأنس بكما!

فقالا له: من أنت؟!

قال: متمم بن نويرة.

فقالا: مللنا غير مملول، هات أنشدنا فأنشدهما أول قصيدته العينية، التي قالها حين بلغه مقتل أخيه، ولعلها تضمُّ «٥١» بيتاً، وتوصف بحقٍّ أنها قصيدة رثائية مؤلمة قالها بكاءً على أخيه الراحل المقتول وحزناً عليه وتألماً لفقده، وقد عمد فيها إلى التنويه بمآثر أخيه مالك وطيب خلاله، كالإيثار والجود والشجاعة والمروءة، نختار شيئاً منها:

لَعَمْري وما دَهْري بتَأْبين هَالِكٍ ✿ ولا جَزَع مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا

لَقَدْ كَفَّنَ المِنْهَالُ تحتَ رِدَائِهِ ✿ فَتًى غيرَ مِبْطان العَشِيَّاتِ أَرْوَعَا

تَرَاهُ كَصَدْرِ السَّيفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى ✿ إذالم تَجدْ عندَامرئ السَّوْءِمَطْمَعَا

وما كان وَقَّافًا إذا الخيلُ أَجْمَحَتْ ✿ ولا طَائِشًا عندَ الِّلقاءِ مُدَفَّعَا

أبَى الصَّبْرَ آياتٌ أراَها وَأنَّني ✿ أرَى كلَّ حَبْل بعدَ حَبْلِكَ أقْطَعَا
وأنّي متى ماأدْعُ باسْمِكَ لاتُجبْ ✿ وكنتَ جَديراً أنْ تُجيبَ وتُسْمِعَا
وَعِشْنَا بخَيْر في الحياةِ وَقَبْلَنَا ✿ أصابَ المَنَايَا رَهْطَ كِسْرَى وَتُبَّعَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأنّي وَمَالِكًا ✿ لِطُول اجتماع لم نَبتْ لَيْلَةً مَعَا
وكُنَّا كَنَدْمَانَيْ جَذِيْمَةَ حِقْبَةً ✿ مِن الدَّهر حتى قيلَ لنْ يَتَصَدَّعَا
فإنْ تَكن الأيَّامُ فَرَّقْنَ بَيْنَنَا ✿ فقدَ بانَ مَحْمُوداً أخِي حينَ وَدَّعَا
سَقَى اللهُ أرْضًا حَلَّها قَبْرُ مَالِكٍ ✿ ذِهَابَ الغَوَادِي المُدْجنَاتِ فَأمْرَعَا
فَوالله ما أسْقي البلادَ لِحُبّها ✿ ولكنَّني أسْقي الحبيبَ المُوَدَّعَا
تَحِيَّتُهُ مِنِّي وإنْ كانَ نَائِيًا ✿ وأمسى تُرَابًا فَوْقَهُ الأَرْضُ بَلْقَعَا
فَعَيْنَيَّ هَلاَّ تَبْكِيانِ لِمَالِكٍ ✿ إذا أذْرَتِ الريحُ الكَنِيفَ المُرَفَّعَا
ولِلشَّرْبِ فابْكِي مَالِكًا ولِبُهْمَةٍ ✿ شَدِيدٍ نَوَاحِيهِ على مَن تَشَجَّعَا
نَعَيْتَ امْرَأً لو كانَ لَحْمُكَ عندَه ✿ لآوَاهُ مَجْمُوعًا لَهُ أو مُمَزَّعَا
فلا يَهْنِئ الوَاشِينَ مَقْتَلُ مَالِكٍ ✿ فقدَ آبَ شَانِيهِ إيَابًا فَوَدَّعَا

وله فيه قصيدته الكافية:

لقد لامني عند القبور على البكا
رفيقي لتذراف الدموع السوافك
فقال: أتبكي كلَّ قبر رأيته
لقبر ثوى بين اللوى فالدوانك
فقلت له: إنَّ الشجا يبعث الشجا

فدعني فهذا كله قبر مالك

وأيضاً يروى عن عمر بن الخطاب أنه قال: لو كنت أقول الشعر كما تقول لرثيت أخي كما رثيت أخاك ويروى أنّ متمماً رثى زيداً فلم يجد.

فقال له عمر: لم ترث زيداً كما رثيت مالكاً.

فقال: إنه والله ليحركني لمالك ما لا يحركني لزيد.

فلم يبكِ أحدٌ من العرب ميته ما بكى متمم على أخيه حتى قال له عمر: ما تنفك تذكر مالكاً على كلّ حال..! وقال عمر للحطيئة: هل رأيت أو سمعت بأبكى من هذا؟!

قال: لا، والله ما بكى بكاءه عربي قط ولا يبكيه.

ولم يغب عنه الموضع الذي قتل به أخوه وهو البطاح.

سأبكي أخي مادام صوت حمامةٍتورق في وادي البطاح حماما.[٦٩]

○○○

لقد حظي هذا الصحابي رحمه الله تعالى بمنزلة محمودة، ذكرها العديد من المؤرخين ورجال العلم والأدب وعدّت شهادات تُحسب له..، كما

---

٦٩. أنظر كتاب المفضليات، للمفضل الضبي (ت١٦٨ هـ)؛ الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني٥ : رقم ٧٧٢٣؛ ديوان الحماسة، لأبي تمام (ت٢٣١هـ)؛وشرحه للمرزوقي (ت٤٢١هـ) واحد من أهم شروحه، باب المراثي، وغيرها.

اختصَّ بعدد من الصحابة، ممن كانت مواقفهم تصبُّ لصالحه فيما وقع عليه من جرمٍ وقتلٍ وانتهاك حرمةٍ.. ويستوقفني كثيراً وأنا أقرأ ما وقع له؛ ما تذكره مصادر التاريخ والأدب، فما أجد ذكراً لقصة مالك أو لحزن أخيه متمم، إلا وأجد في الغالب موقفاً واهتماماً لبعض الصحابة، وبالذات عمر بن الخطاب، ولا أجد سبباً إلا عظم الجريمة التي ارتكبت بحقِّ هذه العائلة، حتى دوّت أصداؤها في أجواء المدينة، واهتزّت لها الضمائر، ولم يتمكن الخليفة الأول رغم ما بذله من جهود من تغطيتها وإخفاء فصولها الدامية، فبقيت آثارها وحديث الناس عنها، ولا ننسى الدور الإعلامي الذي قام به متمم لبقائها حيّةً عبر مراثيه، التي راحت الصدور تحفظها والألسن تنشدها..، وبحكم استلام عمر للخلافة الثانية، واستمرار ثورته ضدَّ خالد بن الوليد، راحت الأخبار تذكر له مواقفه هذه ومواقف غيره كأبي قتيبة الأنصاري، وفي عصرنا كعباس محمود العقاد وهيكل وغيرهم من الكتاب والمؤرخين والأدباء في بعض ما كتبوه، وما كان هذا إلا تسخيراً من قبل السماء لنصرة مظلوم بريءٍ قتل ومن معه بأبشع صورة إشباعاً لرغبة قائد جند الخلافة الأولى، وقدتمثلت ببغضٍ دفين لمالك وحسدٍ لصفاته ومكانته، وهوى قديم لزوجته... فكانت فعلتُه استهانةً بقيم السماء وأحكام الشريعة ومبادئ الصحبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وأخلاقها، وأعراف الناس يومذاك..!

كما أنّ بعض علماء الرجال تحدثوا عنه، ونكتفي بما ذكره السيد

الخوئي في معجم رجال الحديث قائلاً:

مالك بن نويرة بن جمرة بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرّ بن أد بن طابخة بن الياس ابن مضر المقتول في ١٢هـ، فارس، صحابي، شاعر، مناضل، مثابر من أرداف الملوك في الجاهلية، يقال له:«فارس ذي الخمار» وذو الخمار فرسه.

أدرك الإسلام، وأسلم وولاَّه رسول الله صلى الله عليه وآله صدقات قومه بني يربوع. ولما صارت الخلافة إلى أبي بكر بعث إليه أن يبايع فأبى، وقال له: أما تستحي أن تقول في مقام أقام الله ورسوله فيه غيرك، وما ترك في يوم الغدير لأحد حجة ولامعذرة... فأرسل إليه خالد ابن الوليد لمحاربته وقتله، فتوجّه إليه خالد والتقى الفريقان فقتل مالك ابن نويرة، ونزا خالد على حليلته، وقتل أصحابه المسلمين، وفرّق شمله، وأباد قومه، ونهب أمواله.[٧٠]

لقد اختص مالك بأمير المؤمنين عليه السلام وروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أحاديث، وأثنى عليه النبي صلى الله عليه وآله بقوله: «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا». وأخباره وقضاياه كثيرة، تجدها في معاجم السير والتأريخ.

---

٧٠. معجم رجال الحديث، السيد الخويي صلى الله عليه وآله، الرقم ٩٩٣.

حروب الردّة والتراث:

وعما تركه هذا الحدث الخطير المتمثل بحروب الردة في التراث، فإنني أكتفي بشيءٍ مختصر مما ذكره محقق كتاب الردة للواقدي (ت٢٠٧هـ) الدكتور يحيى الجبوري عن الردة وحروبها، ومنهج الواقدي في كتابه المذكور:

حظيت حروب الردّة وما فيها من أخبار وأشعار باهتمام المؤلفين العرب، فقد ألّفت منذ زمن مبكر عدة كتب أفردت لحروب الردّة، غير الأخبار التي تضمنتها كتب التاريخ والأدب، فقد وقفنا على ثمانية كتب كلها تحمل اسم الردّة هي:

١. لمحمد بن إسحاق (ت١٥٠هـ).

٢. سيف بن عمر (ت١٩٣هـ).

٣. الواقدي (ت٢٠٧هـ).

٤. وثيمة بن موسى الوشاء (ت٢٣٧هـ).

٥. أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي (ت١٥٧هـ).

٦. إسحاق بن بشر الهاشمي (ت٢٠٦هـ).

٧. علي بن محمد المدائني (ت٢٣٤هـ).

٨. إسماعيل بن عيسى العطار.

ولم يصل من هذه الكتب إلا كتاب الواقدي هذا، في نسخته الوحيدة النادرة التي عثرت عليها أثناء تسفاري في بلاد الهند في مكتبة

خدابخش في يانكي بور مقاطعة باتنا؛ وتقع المخطوطة في ست وأربعين لوحة بخط نسخي مقروء، وفيها شعر كثير يجاوز التسعمائة بيت، أكثره من الشعر النادر الذي لم تحفظه الكتب والدواوين،... قيل أثناء التهيؤ للقتال أو الدعوة للنزال أو وصف الأحداث، وغالبية هذا الشعر لشعراء مغمورين لم يعرفوا بقول الشعر ولم يشتهروا به، وقد أنطقتهم الحروب وأحداث الردّة، وهم جنود مقاتلون لا يعنون بتجويد الشعر وصناعته، وإنما تجيش صدورهم بأبيات يحمسون بها أنفسهم ومن معهم، ويفخرون بحسن بلائهم وبلاء قومهم، ولذلك جاءت أشعارهم مقطعات يغلب عليهاالارتجال، وتقتصر موضوعاتها على الحرب وما تقتضيها من استعداد لها، واستبسال في سبيلها، وتحريض المقاتلين، ودعوة للنزال، ومديح للأبطال، وافتخار بالنصر، وتعيير بالهزيمة وهجاء الخصوم... فكم ضاع من هذا الشعر الذي أغفله المؤرخون ورواة الشعر وتجاهله المسلمون؛ لأنّ بعضه مما يناهض الإسلام أو يهجو المسلمين، وقد تبرأ منه المرتدون بعد أن عادوا إلى حضيرة الإسلام وانطلقوا نحو الفتوح يجالدون الفرس والروم.

وقد كانت عناية المؤلف الواقدي في هذا الكتاب كدأبه في كتابه المغازي معنياً بذكر تفاصيل الأحداث، حريصاً على تدوين الرسائل والكتب والخطب، وذكر المحاورات والمناوشات، لم يهمل الجزئيات والتفاصيل؛ سجل كل ما يمكن تسجيله في هذه الحروب مع تفسير شاف

لأسباب الوقائع والأحداث، ولذلك فقد تفرّد الكتاب بمعلومات وروايات وأشعار لم تذكرها كتب التاريخ والأدب قبله، وقد اقتبس بعض المؤرخين من هذا الكتاب، وذكروا بعض نصوصه مختصرة من مثل ابن سعد في الطبقات، والطبري في تاريخه، وعبد الرحمن بن حبيش في كتابه المغازي، وابن حجر في الإصابة، وغيرهم.[٧١]

○ ○ ○

٧١. أنظر كتاب الردة للواقدي، مقدمة المحقق.